عندها لتعرضه عن القوة[1] العقلية عند الحاجة إليه، و ثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية، و رابعها القوة الفكرية و هى التى تأخذ المعارف العقلية فتؤلفها[2] تأليفا تستنتج منه علما بالمجهول، و خامسها القوة القدسية التى يختص بها الأنبياء و بعض الأولياء، و تنجلى فيها لوائح الغيب و أسرار الملكوت. و إليه أشار قوله "و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا" الآية، و إذا عرفت هذه القوى [3]فهى بجملتها[3] أنوار إذ بها تظهر أصناف الموجودات، و هذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالأمور الخمسة التى ذكرها الله فى المشكاة و الزجاجة و المصباح و الشجرة و الزيت، أما الروح الحساس فاذا نظرت إلى خاصته وجدت أنواره خارجة من ثقب كالعينين و الأذنين و المنخرين، [4]فأوفق مثال[4] له من عالم الأجسام المشكاة، و أما الثانى و هو الروح الخيالى[5] فله خواص ثلاثة: الأول أنه من طينة العالم السفلى الكثيف لأن الشيء المتخيل ذو شكل و حيز، و من شأن العلائق الجسمانية أن تحجب عن الأنوار العقلية المحضة، و الثانى أن هذا الخيال الكثيف إذا صفا و رق صار موازنا للمعارف العقلية و مؤديا[6] لأنوارها، و لذلك[7] يستدل المعبر بالصور

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القوى (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فتالفها (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بجملتها فهى (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: فافق مثاله (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ: الخالى (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مويدا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك.

الخيالية

[1]الخيالية على[1] المعانى العقلية[2] كما يستدل بالشمس على الملك، و بالقمر على الوزير، و بختم فروج الناس و أفواههم على الأذان قبل الصبح، و الثالث أن الخيال فى البداية محتاج إليه لتضبط به المعارف العقلية و لا تضطرب. و أنت لا تجد شيئا فى الأجسام يشبه الخيال فى هذه الصفات إلا الزجاجة فانها فى الأصل من جوهر كثيف و لكن[3] صفا و رق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يؤديه[4] على وجهه ثم يحفظه من الانطفاء بالزجاج، و أما الثالث و هو القوة العقلية القوية على إدراك الماهيات الكلية و المعارف الإلهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح، و أما الرابع و هو القوة الفكرية فمن خاصيتها أنها تأخذ ماهية واحدة ثم تقسمها إلى قسمين كقولنا: الموجود إما واجب و إما ممكن، ثم تجعل كل قسم قسمين، و هكذا إلى أن تنتهى إلى ما لا يقبل القسمة، ثم تنتهى بالآخرة إلى نتائج هى ثمرتها، فبالحرى أن يكون مثاله من هذا العالم الشجرة، و إذا كانت ثمارها مادة لتزايد أنوار المعارف و بيانها فبالحرى أن لا تمثل بشجرة السفرجل و التفاح [بل -[5]] بشجرة الزيتون خاصة لأن لب ثمرتها هو الزيت الذى هو مادة المصابيح. و له من بين سائر الأدهان خاصة زيادة الإشراق و قلة الدخان، و إذا كانت الماشية التى يكثر درها و نسلها

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخالية عن (٢) زيد فى الأصل و ظ: مويدا لأنوارها، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوريه (٥) زيد من م و مد.

و الشجرة التى تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتى لا نهاية لمنفعتها و ثمرتها أولى أن تسمى [شجرة -[1]] مباركة، و إذا كانت شعب الأفكار العقلية المحضة[2] مجردة عن لواحق الأجسام، فبالحرى أن لا تكون شرقية و لا غربية، و أما / الخامس و هو القوة القدسية النبوية فهى[3] فى نهاية ٦٧١ /
الشرف و الصفاء، فان القوة الفكرية تنقسم إلى ما تحتاج إلى تعليم و إلى ما لا تحتاج إليه، و لا بد من وجود هذا القسم دفعا [4]للتسلسل فبالحرى[4] [5]أن يعبر عن[5] هذا القسم لكماله و صفاته بأنه يكاد زيته يضىء و لو لم تمسسه نار، فهذا المثال موافق لهذه الأقسام، و هذه الأنوار مرتبة بعضها على بعض، فالحس هو الأول و هو كالمقدمة للخيال، و الخيال كالمقدمة للعقل - انتهى كلام الغزالى رحمه الله تعالى عن نقل الأصفهانى فى تفسيره عنه - [6]و الله أعلم[6] .

و لما كان المعنى بناء على ما تقدم من صفة الروح الإلهى: فهديناك به، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و انك لتهدى ﴾ أى تبين و ترشد، و أكده لإنكارهم ذلك[7] ﴿الى صراط﴾ أى طريق واضح[8] جدا، و إن

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ: المجردة المحضة، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و هى. (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل: التسلل فبالحرى، و فى ظ: التسلل فبالحرى (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يعتبر (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: واحد.

عانيت فى البيان مشقة بنفسك و بالوسائط بما أفادته التعدية بـ"إلى"، فيفهم من ذلك أنه يهدى للصراط بدون ذلك من العناية لمن يسر الله أمره و يهدى الصراط لمن هو أعظم توفيقا من ذلك ﴿مستقيم﴾ أى شديد التقوم لأنه كأنه يريد أن يقوم نفسه فهو بعد وجود تقومه[1] حافظ لها من أدنى خلل، و هو كل [2]ما دعا[2] إليه من خصال هذا الدين الحنيف[3] الذى هو ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، ثم أبدل منه تعظيما لشأنه قوله بدل[4] كل من كل معرفة من نكرة لافتا القول من مظهر العظمة إلى أعظم منه، إشارة إلى جلالة هذا الصراط [بما -[5]] فيه من مجامع الرحمة و النقمة ترغيبا و ترهيبا: ﴿ صراط الله ﴾ أى الملك الأعظم الجامع لصفات الكمال، ثم وصفه بأنه مالك لما افتتح هذا الكلام بأن[6] له ملكه فقال: ﴿ الذى له ﴾ ملك ﴿ ما فى السموٰت ﴾ أى و هو جميع السماوات التى هى فى عرشه و الأرض لأنها فى السموات و ما فى ذلك من المعانى و الأعيان ﴿ و ما فى الارض ﴾.

و لما أخبر سبحانه أنه[7] المخترع لجميع الأشياء و المالك لعالمى الغيب

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تقدمه (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : خفاء (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الحنيفة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بل (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بانه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ان .

و الشهادة و الخلق و الأمر و أنه المتفرد بالعظمة كلها، و كان مركوزا في العقول مغروزا في الفطر أن من ابتدأ شيئا و ليس له كفوء قادر على إعادته و أن يكون مرجع[1] أمره كله إليه، فلذلك كانت نتيجة جميع ما مضى على سبيل المناداة على المنكرين لذلك وعدا و وعيدا لأهل الطاعة و المعصية بناء على ما تقديره: كيف يكون له ما ذكر على سبيل الدوام و نحن نرى لغيره أشياء كثيرة تضاف إليه و يوقف تصريفها و التصرف فيها عليه: ﴿ الآ الى الله ﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال الذي تعالى عن مثل[2] أو مدان و هو الكبير المتعال، لا إلى أحد غيره ﴿ تصير ﴾ أي على الدوام و إن كانت في الظاهر في ملك غيره بحيث يظن الجاهل أن ملكها مستقر له. قال أبو حيان[3]: أخبر بالمضارع و المراد به الديمومة كقوله[4]: زيد يعطي و يمنع أي من شأنه ذلك و لا يراد به حقيقة المستقبل. ﴿ الامور ع ﴾ أي كلها من الخلق و الأمر معنى و حسا [خفيا - [5]] في الدنيا بما نصب من الحكام[6] و جعل بين / الناس من ٦٧٢ /
الأسباب، وجليا فيما وراءها حيث قطع ذلك جميعه [7]فلا حكام ولا أسباب[7]،

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: جميع (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: مثيل (٣) راجع البحر المحيط ٧ / ٥٢٨ (٤) في م و مد: كقولك. (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: الاحكام. (٧-٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: فلاحكام و الاسباب.

كما كانت الأمور كلها مبتدئة منه وحده، و من كان كذلك فهو وحده العزيز الحكيم العلى العظيم، فقد رجع آخر السورة على أولها، و انعطف [1]مفصلها على موصلها[1]، و اتصل من حيث كونه فى الوحى الهادى [2]فى أول[2] الزخرف على أتم عادة لهذا الكتاب المنير من اتصال الخواتم فيه بالبوادى و الروائح بالغوادى - و الله [3]أعلم بالصواب[3].

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : موصولها على مفصلها (٢-٢) فى م و مد : بأول (٣-٣) فى ه و مد : ولى التوفيق .

سورة الزخرف[1]

مقصودها البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل و الحكمة حتى يكونوا [2]أعلى الأمم في[2] العلم و ما ينشأ عنه شأنا لأن [3]هدايتهم بأمر لدني[3] هو من أغرب الغريب الذي هو للخواص، فهو في الرتبة الثانية من الغرابة و أن ذلك
٥ أمر لا بد لهم منه و إن اشتدت نفرتهم منه و إعراضهم عنه و أنه لذكر لك و لقومك حتى [تكونوا -[4]] أهلا للجنة و فيها ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين و أنتم فيها خالدون، و لم يقل: و هم، و على ذلك دلت تسميتها بالزخرف لما في آيتها من أنه [لو -[4]] أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم، و لكنه لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم فأفقر
١٠ بعضهم و أكثر توسعهم و ضرهم و فرق أمرهم، ليسهل ردهم[5] عن الكفر الذي أدتهم إليه طبائعهم و حظوظهم[6] و نقائصهم بما يشهدون من قباحة الظلم و العدوان إلى ما يرونه من محاسن الدين و الإيمان. و لذة الخضوع للملك الديان، فتخضع لهم الملوك [و -[4]] الأعيان، [7]و يصير لهم الفرقان[7] على جميع أهل العصيان ﴿بسم الله﴾ الذي له مقاليد الأمور كلها فهو

(١) الثالثة و الاربعون من سور القرآن الكريم مكية، و عدد آيها تسع وثمانون عند الجمهور، وثمان وثمانون عند الشامي - كما في الدر المنثور ٦/٣٩٢.
(٢-٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ: على (٣-٣) من م و مد، و في الأصل وظ: هذا الاسم بأمر الذي (٤) زيد من م و مد (٥) من م ومد، وفي الأصل و ظ: أمرهم (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: خوضهم.
(٧-٧) من ظ وم و مد، و في الأصل: نصرتهم العرفان.

يعلى[1] من شاء[2] و إن طال سفوله ﴿الرحمن﴾ الذى نال بره جميع خلقه على حسب منازلهم عنده ﴿الرحيم ٥﴾ الذى يقبل بمن[3] شاء[4] إلى[5] ما يقربه لديه زلفى و إن وصل فى البعد إلى الحد الأقصى ﴿حمٓ ۚ﴾ حكمة محمد التى أوحاها الله إليه .

و لما[6] قدم آخر تلك أنه جعل ما أوحى إليه صلى الله عليه و سلم نورا يهدى به من يشاء، و كان قد تقرر[7] فى السور الماضية ما له من الجلالة بأنه تنزيله، و ختم بأنه لا أمر [8]يخرج عنه[8] سبحانه إشارة [إلى أنه -[9]] يردهم عن غيهم و كانوا يمكرون أن يرجعوا ، فاقتضى الحال غاية التأكيد، و كان إقسام الله تعالى بالأشياء إعلاما بجلالة ما فيها من الحكم[10] و تنبيها على النظر فيما أودعها من الأسرار التى أهلها للاقسام بها ، افتتح هذه بتعظيم[11] هذا الوحى بالإقسام به حثا على تدبر[12] ما فيه من[13] الوجوه التى أوجبت أن يكون قسما [14]ثم تعظيم أثره[14] فقال : ﴿و الكتٰب﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعطى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاء (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يشاء (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى ما (٧) فى م : تقدم (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محو (٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكمالات المودعة للحكم (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بالتعظيم . (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تدبير (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (١٤-١٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يعظم نصره .

أى و إعجاز هـــذا الجامع لكل خير و غير ذلك من أنواع عظمته ﴿ المبين ﴾ أى البين فى نفسه ، المبين لجميع ما فيه من العظمة و الشرائع و السنن[1] / ، و اللطائف و المعارف و المنن ، بيانا عظيما شافيا ، /٦٧٣

و لما كانوا[2] ينكرون أن يرجعوا به عما هم فيه ، و أن يكون من عند الله ، أكد ما يكذبهم من قوله فيما مضى آخر الشورى[3] أنه نور و هدى و روح معبرا[4] بالجعل لذلك[5] دون الإنزال [6] لأنه قد دل[6] عليه جميع السور الماضيـــة تارة بلفظه[7] و أخرى بلفظ الوحى ، فقال مقسما بالكتاب على عظمة الكتاب ، قال[8] السمين : و من البلاغة عندهم كون القسم و المقسم عليه من واد واحد ، و هذا إن أريد بالكتاب القرآن [فان -[9]] أريد به أعم منه كان بعض القسم به ، و صرف القول إلى مظهر العظمة تشريفا للكتاب[10] : ﴿ انا جعلنه ﴾ أى صيرناه و وضعناه و سميناه مطابقة لحاله بالتعبير عن معانيه بما لنا من العظمة ﴿ قرءنا ﴾ أى مع كونه بمجموع الحروف و المعانى[11] جامعا ، و مع كونه جامعا فارقا بين

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الستر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان هؤلاء (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : السورة (٤) من و مد ، فى الأصل و ظ و م : معبر (٥) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : كذلك (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فدل (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بلفظ (٨) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد . (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد فى الاصل و ظ : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١١) زيد فى الأصل : مطابقة لحاله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الملتبسات ﴿عربيا﴾ أى جاريا على قوانين لسانهم فى الحقائق و المجازات و المجاز فيه أغلب لأنه أبلغ و لاسيما الكنايات[١] و التمثيلات ، و صرف القول عن تخصيص نبيه صلى الله عليه و سلم بالخطاب إلى خطابهم تشريفا له صلى الله عليه و سلم و لهم [فيما -[٢]] يريده بهم و تنبيها على سفول أمرهم فى وقت نزولها فقال: ﴿لعلكم تعقلون ﴿﴾﴾ أى لتكونوا أيها العرب على رجاء [عند-[٢]] من يصح منه رجاء[٣] من أن تعقلوا أنه من عندنا لم تبغوا له أحدا علينا و تفهموا معانيه و جميع ما فى طاقة البشر مما يراد به من حكمه و أحكامه ، و بديع وصفه و معجز وصفه و نظامه ، فترجعوا عن كل ما أنتم فيه من المغالية ، و لابد أن يقع هذا الفعل ، فان القادر إذا عبر[٤] بأداة الترجى حقق ما [يقع - [٢]] ترجيه ، ليكون بين كلامه و كلام العاجز فرق. و سيلغ هذا الجامع أقصاكم كما عرض على أدناكم و كل منكم [يعلم -[٢]] أنه عاجز عن مباراة[٥] آية منه فى حسن معناها ، و جزالة ألفاظها و جلالة سبكها ، و نظم كل كلمة منها بالمحل الذى لايمكن زحزحتها عنه بتقديم و لا تأخير ، و لا أن يبدل شىء منها بما يؤدى معناه أو يقوم مقامه ، كما أن ذلك فى غاية الظهور فى موازنة " فى القصاص حياة " مع « القتل أنفى للقتل » و ذلك بعض آية فكيف بآية

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآيات (٢) زيد من ظ و م و مد
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مبارزة .

فما فوقها فتخضع له جبارة ألبابكم و تسجد له جباه[1] عقولكم، و تذل لعزته شوامخ أفكاركم، فتبادرون إلى تقبله و تسارعون إلى حفظه و تحمله علما منكم [بأنه فخر لكم لايقاربه فخر، و عز لا يدانيه عز، ثم يتأمل الإنسان منكم -[2]] من خالفه [فيه -[2]] من بعيد أو قريب ولد أو والد[3]
٥ إلى أن تدين له الخلائق، و تتصاغر لعظمته الجبال[4] الشواهق، و الآية ناظرة إلى آية فصلت "و لو جعلنا قرانا اعجميا لقالوا[5] " - الآية.

و لما كانوا ينكرون تعظيمه عنادا و إن كانوا / يقرون بذلك في ٦٧٤ /
بعض الأوقات، قال مؤكدا لذلك و تنبيها على أنه أهل لأن يقسم به، و زاد فى تعظيمه لأنه لا كلام يشبهه، بل و لايدانيه بوجه[6]: ﴿وانه﴾
١٠ أى القرآن، و قدم الظرفين على الخبر[7] المقترن باللام اهتماما بهما ليفيد بادئ بدء أن علوه و حكمته ثابتة [في -[8]] الأم و أن الأم فى غاية [9]الغرابة عنده[9] ﴿ في ام الكتب ﴾ [أى -[8]] كانتا فى[10] أصل كل كتاب سماوى، و هو اللوح المحفوظ، و زاد فى شرفه بالتعبير بلدى التى هى [الخاص -[8]] الخاص و أغرب[11] المستغرب و نون العظمة فقال

---

(١) من م ومد، و فى الأصل و ظ : حياة (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : والدا (٤) زيد فى الأصل : الشوامخ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من م (٦) زيد فى الأصل : من الوجوه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الجزاء (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عده (١٠) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اعرض.

مرتبا للظرف على الجار ليفيد أن ام الكتاب من أغرب الغريب الذى عنده ﴿ لدينا ﴾ على ما هو عليه هناك[1] ﴿ لعلى ﴾ .

و لما كان العلى قد يتفق علوه و لا تصحبه فى علوه حكمة ، فلا يثبت له علوه ، فيتهور بنيانه و ينقص سفوله و دنوه ، قال : ﴿ حكيم ﴾ أى بليغ فى كل من هاتين الصفتين راسخ فيهما رسوخا لايدانيه [فيه -[2]] كتاب فلا[3] يعارض فى على لفظه ، و لا يبارى فى [4]حكيم معناه[4] ، و يعلو و[5] لايعلى عليه بنسخ و لا غيره ، بل هناك مكتوب بأحرف و عبارات فائقة رائقة تعلو عن فهم أعقل العقلاء ، و لايمكن بوجه أن يبلغها أنبل النبلاء ، إلا بتفهيم العلى الكبير ، الذى هو على كل شىء قدير .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أخبر سبحانه بامتحان خلف[6] بنى إسراءيل فى شكهم فى كتابهم بقوله : " و ان الذين اورثوا الكتب من بعدهم لفى شك منه مريب " و وصى نبيه صلى الله عليه و سلم بالتبرئ من سيئ[7] حالهم و التنزه عن سوء محالهم فقال " و لا تتبع اهواءهم و قل امنت بما انزل الله من كتب " الآية ، و تكرر الثناء على الكتاب العربى كقوله " و كذلك اوحينا اليك قرانا عربيا " و قوله " الله الذى انزل الكتب بالحق و الميزان " [و قوله -[2]] " و كذلك اوحينا اليك روحا

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هنا (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و لا (٤ - ٤) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٥) فى م : أو (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حلوه (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : سوء .

من أمرنا ما كنت تدري ما الكتٰب و لا الايمان و لكن جعلنٰه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا "ـ إلى آخر السورة، أعقب ذلك بالقسم به و عظيم الثناء عليه فقال " حمٓ و الكتٰب المبين انا جعلنٰه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون و انه فى ام الكتٰب لدينا لعلى حكيم " و لما أوضح عظيم حال الكتاب و جليل نعمته به، أردف ذلك بذكر سعة عفوه و جميل إحسانه إلى عباده و رحمتهم[1] بكتابه مع إسرافهم و قبيح مرتكبهم فقال : " ا فنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين " و لما قدم فى الشورى قوله " لله ملك السمٰوٰت و الارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا و اناثا و يجعل من يشاء عقيما[2] " فأعلم أن ذلك إنما يكون بقدرته و إرادته، و الجارى على هذا أن يسلم الواقع من ذلك و يرضى بما قسم و اختار، عنف تعالى فى هذه السورة من اعتدى و زاغ[3] فقال / " و اذا بشر احدهم بما ضرب للرحمٰن مثلا ظل وجهه مسودا و هو كظيم " فكمل الواقع هنا بما تعلق / ٦٧٥
به، و كذلك قوله تعالى " و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض " و قوله فى الزخرف " [و ـ[4]] لو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفا من فضة " [5]إلى آخره[5] ـ انتهى.

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رحمهم (٢) زيد فى الأصل : الى آخره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زاعج (٤) زيد من م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

و لما

و لما أفهم تكرير هذا التأكيد أنهم يطعنون في علاه، و يقدحون في بديع جلاه، فعل من يكرهه و يأباه، إرادة للإقامة على ما لا يحبه الله و لا يرضاه، [قال -[1]] منكرا عليهم: ﴿ا فنضرب﴾ أي نهملكم[2] فنضرب أي ننحي و نسير [مجاوزين -[1]] ﴿عنكم﴾ خاصة من بين بني إبراهيم عليه الصلاة و السلام ﴿الذكر﴾ أي الوعظ المستلزم للشرف ﴿صفحا﴾ أي بحيث يكون حانيا معكم حال المعرض المجانب بصفحة عنقه، فلا نرسل إليكم رسولا، و لا ننزل معه كتابا فهو مفعول له أي نضرب لأجل إعراضنا[3] عنكم، أو يكون ظرفا بمعنى جانبا [أي نضربه عنكم جانبا -[4]]، قال الجامع بين العباب و المحكم: [أضربت -[4]] عن الشيء: كففت[5] و أعرضت، و ضرب عنه الذكر و أضرب عنه: صرفه، و قال الإمام عبدالحق في الواعي: [6]و الأصل[6] في ضرب عنه الذكر أن الراكب إذا ركب دابته فأراد أن يصرفه عن جهته ضربه بعصاه ليعدله عن جهته إلى الجهة التي يريدها، فوضع الضرب في موضع الصرف و العدل، قال الهروي: قال الأزهري: يقال: ضربت عنه و أضربت بمعنى واحد، و نقل النواوي عنه [أنه -[4]] قال: إن المجرد قليل، فالحاصل أن الضرب

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: انتهكم. (٣) من م و مد. و في الأصل و ظ: اعراض (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: ا كففت (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م.

إيقاع شيء على آخر بقوة، [فمجرده -[1]] متعد[2] إلى واحد، فان عدى[3] إلى آخر بـ «عن» ضمن معنى الصرف. و إذا زيدت[4] همزة النقل فقيل: أضربت عنه، أفادت الهمزة قصر الفعل، و أفهمت إزالة الضرب، فمعنى الآية: أفنضرب صارفين عنكم الذكر صفحا، أى معرضين إعراضا شديدا حتى كأنا ضربنا الذكر لينصرف عنكم معرضا كاعراض من ولى [إلى - [1]] صفحة عنقه، ثم علل إرادتهم هذا الإعراض بما يقتضى الإقبال بعذاب [5]أو متاب[5] فقال: ﴿ ان ﴾ أى أنفعل ذلك لأن ﴿ كنتم قوما مسرفين ﴾ أى لأجل أن كان الإسراف جبلة لكم و خلقا راسخا، وكنتم قادرين على القيام به فى تكذيب الرسول صلى الله عليه و سلم و القدح فيما يأتى به و الاستهزاء بأمره بترككم خشية من شدتكم أو[6] رجاء من غير تذكير لتوبتكم[7] و قد جعل حينئذ المقتضى مانعا، فانه المسرف أجدر بالتذكير و أحوج إلى الوعظ، هذا إن[8] كان مقربا، و أما البعيد فانه لا يلتفت إليه من أول الأمر، بل لو أراد القرب طرد. و على قراءة نافع و حمزة و الكسائى[9] بكسر «ان» على كونها شرطية يكون الكلام مسبوقا على غاية ما يكون من الإنصاف، فيكون المعنى:

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: معتد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: عدا (٤) من م و مد، و فى الاصل و ظ: أريد. (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ام تاب (٦) من م و مد، و فه الأصل و ظ: اى (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لسوكم (٨) فه م: إذا (٩) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٩٤.

أنتركم مهملين فننحى عنكم الذكر و الحال أنكم قوم يمكن أن تكونوا متصفين بالإسراف، يعنى أن المسرف أهل لأن يوعظ و يكلم بما يرده عن الإسراف[1]، و أنتم و إن ادعيتم أنكم مصلحون / لاتقدرون أن تدفعوا / ٦٧٦
عنكم إمكان الإسراف فكيف يدفع عنكم إنزال الذكر الواعظ و أنتم بحيث يمكن أن تكونوا مسرفين [فتحتاجوا إليه -[2]] - هذا ما لايفعله حكيم فى عباده، بل هو سبحانه للطفه و زيادة بره لا يترك دعاء عباده إلى رحمته[3] و إن كانوا مسرفين قد [4]أمعنوا فى الشراد[4]، و الجحد و العناد، فيدعوهم بأبلغ الحجة ، و هو هذا القرآن الذى هو أشرف الكتاب على لسان هذا النبى الذى هو أعظم[5] الرسل ليهتدى من قدرت هدايته و تقوم[6] الحجة على غيره .

و لما كان المعنى أن لا نتركم هملا ، كان كأنه قيل : هيهاتِ منكم فلنرفعنكم[7] كما رفعنا بنى إسحاق من[8] إسرائيل و عيسو عليهم الصلاة و السلام، فلقد [9]أرسلنا إليكم[9] مع أنكم أعلى الناس رسولا هو أشرفكم نسبا و أزكاكم

(١) زيد فى الأصل : فكيف يدفع عنكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد ، و زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رحمة (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل : أسنوا فى الاسراف ، و فى ظ : أسنوا فى الشراد (٥) زيد فى الأصل و ظ : الأنبياء ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يترك (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلترفعكم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن بنى .
(٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارسلناك اليهم .

نفسا و أعلاكم همة و أرجحكم عقلا و أوفاكم أمانة و أكرمكم خلقا و أوجههم عشيرة، فعطف قوله تأنيسا للنبي صلى الله عليه و سلم و تأسية و تعزية و تسلية: ﴿ و كم ارسلنا ﴾ [أي -[1]] على ما لنا من [2]القدرة على ذلك و العظمة الباهرة المقتضية لذلك[2].

و لما كان الإرسال يقع على أنحاء من الأشكال، ميزه بأن قال: ﴿ من نبي فى الاولين ۝ ﴾ ثم حكى حالهم الماضية إشارة إلى استمرار[3] حال الخلق على هذا فقال: ﴿ و ما ﴾ أي و الحال أنه ما ﴿ ياتيهم ﴾ و أعرق فى النفي بقوله: ﴿ من نبي ﴾ أي فى أمة بعد أمة و زمان بعد زمان ﴿ الا كانوا ﴾ أي خلقا و طبعا [4]و جبلة[4] ﴿ به يستهزءون ۝ ﴾ كما استهزئ قومك، و تقديم الظرف للاشارة إلى [أن - [1]] استهزاءهم به لشدة مبالغتهم فيه كأنه مقصور عليه.

و لما كان الاستهزاء برسول الملك استهزاء به، و كانت المماليك إنما تقام بالسياسة بالرغبة و الرهبة و إيقاع الهيبة حتى يتم الجلال و تثبت[5] العظمة، فكان لذلك[6] لا يجوز فى عقل عاقل أن يقر[7] ملك على الاستهزاء به، سبب عن الاستهزاء بالرسل الهلاك فقال: ﴿ فاهلكنا ﴾ و كان الأصل الإضمار، و لكنه أظهر الضمير بيانا لما كان[8] فى الأولين[9] من

(١) زيد من م و مد (٢-٢) فى ظ و م و مد: العظمة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استمراد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تبعث (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كذلك (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعى (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانوا (٩) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

الضخامة صاوفا أسلوب الخطاب إلى الغيبة إقبالا على نبيه صلى الله عليه و سلم تسلية له و إبلاغا فى وعيدهم فقال: ﴿ اشد منهم ﴾ أى من قريش الذين يستهزؤن بك ﴿ بطشا ﴾ من جهة العـد و العدد و القوة و الجلد فما ظنهم بأنفسهم و هم أضعف منهم إن تمادوا فى الاستهزاء برسول الملك الأعلى.

و لما ذكر إهلاك أولئك ذكر أن حالهم عند الإهلاك كان أضعف حال ليعتبر هؤلاء فقال: ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ [أى - [1]] وقـع إهلاكهم الذى كان مثلا يتمثل به من بعدهم، و ذكر أيضا [فى - [1]] القرآن الخبر عنه بما حقه أن يشير مشير المثل بل ذكر أن من عبده الأولون و اعتمدوا عليه مثل بيت العنكبوت فـكيف بالأولين [2] أنفسهم فـكيف [2] بهؤلاء، فان الحال أدى إلى أنهم أضعف / من الأضعف من / ٦٧٧ بيت العنكبوت فلينتظروا أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك، بأيدى جند الله [من - [3]] البشر أو الملائكة [4].

و [لما - [1]] كان التقدير: فلئن [5] سألتهم عمن سمعوا بخبره ممن ذكرناهم من الأولين ليعترفن [6] بما سمعوا من خبرهم لأنا لم نجعل لهم على المباهتة [7] فيه جرأة لما طبعناهم عليـه فى [8] أغلب أحوالهم من الصدق، عطف

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انفسكم. (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الملائكة (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فليس (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليعرفوا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الماهية (٨) زيد فى م: معظم.

عليه قولهم مبينا لجهلهم بوقوعهم في التناقض مؤكدا له[1] لما في اعترافهم به من العجب المنافي لحالهم: ﴿ و لئن سألتهم ﴾ أيضا عما هو أكبر من ذلك و أدل على القدرة، و جميع صفات الكمال فقلت لهم: ﴿ من خلق السموٰت ﴾ على علوها و سعتها ﴿ و الارض ﴾ على كثرة عجائبها و عظمتها ﴿ ليقولن ﴾ أي من غير توقف.

و لما كان السؤال عن[2] المبتدأ، كان الجواب المطابق ذكر الخبر، فكان الجواب هنا: الله - كما في غيره من الآيات، لكنه عدل عنه إلى المطابقة المعنوية لافتا القول عن مظهر العظمة إلى ما يفيد من الأوصاف[3] القدرة على كل شيء، و أنه تعالى يغلب[4] كل شيء، و لا يغلبه شيء [5]مكررا للفعل تأكيدا[5] لاعترافهم [6]زيادة في توبيخهم و تنبيها على عظيم غلطهم، فقال معبرا بما هو لازم لاعترافهم[6] له سبحانه بالتفرد بالإيجاد[7] لأنه أنسب الأشياء لمقصود السورة و للابانة[8] التي هي مطلعها. ﴿ خلقهن ﴾ الذي هو موصوف بأنه ﴿ العزيز العليم ﴾ أي الذي يلزم [المعترف -[9]] باسناد هذا الخلق إليه أن يعترف بأنه يغلب[10] كل شيء و لا يغلبه شيء

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: لهم (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: على (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: أوصاف (٤) زيد في الأصل و ظ: على، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: مكر العقل بالا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيدت الواو في الأصل و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: الإبانه (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد في الأصل: على، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

و أن علمه محيط بكل شيء، فيقدر على [إيجاده على - [1]] وجه من البداعة [ثم -[1]] على أكمل منه ثم أبهج منه و هلم جرا إلى ما لا نهاية له[2] - هذا هو الأليق بكمال ذاته و جليل صفاته، و نعوذ بالله من عمى المعتزلة و الفلاسفة أصحاب الأذهان الجامدة و العقول الكاسدة و العرب لجهلهم يعبدون مع اعترافهم بهذا غيره، و ذلك الغير لا قدرة له على شيء أصلا، و لا علم له بشيء أصلا، فقد كسر[3] هذا السؤال بجوابه حجتهم، و بان به غلطهم و فضيحتهم، حتى بان لأولى الألباب أنهم معاندون.

و لما كان جوابهم بغير هاتين الصفتين و دل بذكرهما على أنهما لازمان [لاعترافهم - [1]] تنبيها لهم على موضع الحجة، أتبعهما[4] من كلامه دلالة على ذلك قوله التفاتا إلى الخطاب لأنه أمكن فى التقريع و التوبيخ و التشنيع و تذكيرا لهم بالإحسان الموجب للاذعان و تفصيلا للقدرة: ﴿ الذى جعل لكم ﴾ فانه لو كان ذلك قولهم لقالوا لنا ﴿الارض مهدا﴾ أى فراشا، قارة ثابتة وطية[5]، و لو شاء لجعلها مزلزلة لايثبت فيها شيء[6] كما ترون من بعض الجبال، أو جعلها مائدة لاتثبت لكونها على تيار الماء، و لما جعل الأرض قرارا لأشباحكم جعل الأشباح قرارا لأرواحكم و طوقها حمل قرارها و قوة التصرف به فى حضورها

(١) زيد من م و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كبر (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ: أتبعها (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: والهية.
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شيئا.

و أسفارها ليدلكم [ذلك -[1]] على تصرفه سبحانه فى الكون و تصريفه
له حيث أراد، و أنه الظاهر الذى لا أظهر منه و الباطن الذى لا أبطن
منه[2]، قال القشيرى: فاذا انتهى مدة كون النفوس على الأرض حكم الله
٦٧٨ / بخرابها، كذلك[3] /إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها[4]،
[5]و أعاد الفعل تنبيها على تمكنه تعالى من إقامة الأسباب لتيسير الأمور
الصعاب إعلاما بأنه لا يعجزه شيء[5]: ﴿و جعل لكم فيها سبلا﴾ أى طرقا
تسلكونها[6] [7]بين الجبال و الأودية[7]، و لو شاء لجعلها بحيث لا يسلك فى
مكان منها [كما -[1]] جعل بعض الجبال كذلك[3]، ثم ذكر العلة الغائية
فى ذلك فقال: ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى ليكون خلقنا لها[8] كذلك[9]
جاعلا حالكم حال من يرجى له الهداية إلى مقاصد الدنيا فى الأسفار
و غيرها ظاهرا [10]فتتوصلون بها إلى الأقطار الشاسعة و الأقاليم الواسعة
للأمور الرافقة النافعة[10]، [فانها إذا تكرر سلوكها صار لها من الآثار الناشئة
من كثرة التكرار ما يهدى كل مار -[11]] و إلى المقاصد الأخرى و حكمتها[12]

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى م: ذلك (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بخرائها (٥-٥) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ قبل «و لو شاء لجعلها» و الترتيب من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لتسلكونها. (٧-٧) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد «قضى الله بخرابها» و الترتيب من م و مد (٨) فى م: لذلك (٩) سقط من م (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من م (١١) زيد من م (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: حكمها.

باطنا

باطنا إذا تأمل الفطن حكمة مسخرها و واضعها[1] و ميسرها[2] .

و لما كان إنزال الماء من العلو فى غاية العجب لاسيما إذا[3] كان فى وقت دون وقت ، و كان إنبات النبات به أعجب ، و كان دالا على البعث و لابد ، و كان مقصود السورة أنه لابد من ردهم[4] عن عنادهم بأعظم الكفران إلى الإيمان ، و الخضوع له بغاية الإذعان ، قال دالا على كمال القدرة على ذلك و غيره بالتنبيه[5] على كمال الوصف بالعطف و بإعادة الموصول الدال على الفاعل المذكر بعظمته للتنبيه على أن الإعادة التى هذا دليلها هى سر الوجود ، فهى أشرف مما أريد من الآية الماضية بمهد الأرض و سلك السبل : ﴿ و الذى نزل ﴾ أى بحسب التدريج ، و لو لا قدرته الباهرة لكان دفعة واحدة أو قريبا منها ﴿من السمآء ﴾ أى المحل العالى ﴿ مآء ﴾ [6]عذبا لزروعكم[6] و ثماركم و شربكم بأنفسكم و أنعامكم ﴿بقدر ج﴾ وهو بحيث ينفع الناس و لا يضر بأن يكون[7] على مقدار حاجاتهم ، و دل على عظمة الإنبات بلفت القول إلى مظهر العظمة تنبيها على أنه الدليل الظاهر على ما وصل [به - [8]] من نشر الأموات فقال مسببا عن ذلك : ﴿ فانشرنا ﴾ أى أحيينا ، و المادة تدور على الحركة و الامتداد

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وضعها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مسيرها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وردهم (٥) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : من التنبيه (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه ازرعكم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٨) زيد من م و مد .

و الانبساط ﴿ به ﴾ أى الماء ﴿ بلدة ﴾ أى مكانا[١] يجتمع الناس فيه للاقامة معتنون باحيائه متعاونون على دوام إبقائه[٢] ﴿ ميتا ج ﴾ أى كان قد يبس نباته و عجز أهله عن إيصال الماء إليه ليحيي به ، و لعله أنث البلد و ذكر الميت إشارة إلى أن بلوغها فى الضعف و الموت بلغ الغاية بضعف أرضه فى نفسها و ضعف أهله عن إحيائه و قحط الزمان و اضمحلال ما كان به من النبات .

و لما كان لافرق بين جمع[٣] الماء للنبات من أعماق الأرض بعد [أن -[٤]] كان ترابا من جملة ترابها و إخراجه كما كان رابيا يهتز بالحياة على هيئته و ألوانه و ما كان[٥] من تفاريعه أغصانه بأمر الله و بين جميع الله تعالى لما تفتت من أجساد الآدميين و إخراجه كما كان بروحه و جميع جواهره و أعراضه إلا أن الله قادر بكل اعتبار و فى كل وقت بلا شرط أصلا ، و الماء لا قدرة له إلا بتقدير الله تعالى ، كان نخرا عظيما لأن[٦] تنتهز الفرصة لتقدير ما هم له منكرون و به يكفرون من أمر البعث ، فقال تعالى إيقاظا لهم من رقدتهم بعثا[٧] من موت / سكرتهم : ﴿ كذلك ﴾ ٦٧٩ /
أى مثل هذا الإخراج العظيم لما تشاهدونه من النبات ﴿ تخرجون ہ ﴾ من الموت الحسى و المعنوى بأيسر أمر من أمره تعالى و أسهل شأن

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مكان (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقائه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٤) زيد من مد . (٥) زيد فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م . لا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعثناهم .

فتخرجون فى زمرة الأموات من الأرض ثانيا "فاذا انتم بشر تنتشرون" و تخرجون من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان فإذا أنتم حكماء عالمون .

و لما انتهزت هذه الفرصة ، وسوغ ذكرها ما أثره سوء اعتقادهم من عظيم الغصة[1]، شرع فى إكمال ما يقتضيه الحال من الأوصاف ، فقال عائدا إلى أسلوب العزة و العلم للايماء إلى الحث على تأمل الدليل على بعث الأموات بانتشار الموات [معيدا للعاطف تنبيها -[2]] على كمال ذلك الوصف الموجب لتحقيق مقصود السورة من [3]القدرة على[3] [4]ردهم بعد صدهم[4] : ﴿ و الذى خلق الازواج[5] ﴾ أى الأصناف المتشاكلة التى لايكمل شىء منها غاية الكمال إلا بالآخر على ما دبره سبحانه فى نظم هذا الوجود ﴿ كلها ﴾ من النبات و الحيوان ، و غير ذلك من سائر الأكوان ، لم يشاركه فى شىء منها أحد .

و لما ذكر الأزواج ، و كان المتبادر إلى الذهن إطلاقها على ما هو من نوع واحد ، دل على أن المراد ما هو أعم ، فقال ذاكرا ما تشاكل[6] فى الحمل و تباين فى الجسم : ﴿ و جعل لكم ﴾ لا لغيركم فاشكروه ﴿ من الفلك ﴾ أى السفن العظام فى البحر ﴿ و الانعام ﴾ فى البر ﴿ ما تركبون ﴿١٢﴾ ﴾ وحذف العائد لفهم المعنى تغليبا للتعدى بنفسه فى الأنعام على المتعدى بواسطة فى الفلك .

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القصة (٢) زيد من م و مد . (٣-٣) تكرر ما بين الرقين فى الأصل و ظ (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و جم بعد ضرهم (٥) زيد فى الاصل : كلها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاء .

و لما ذكر النعمة الناشئة عن مطلق الإيجاد، ذكر بنعمة الراحة فيه[1] فقال معللا : ﴿ لتستوا ﴾ أى تكونوا مع الاعتدال و الاستقرار و التمكن و الراحة ﴿ على ظهوره ﴾ أى ظهور كل من ذلك المجعول، فالضمير عائد على ما جمع الظهر نظرا للمعنى تكثيرا للنعمة، و أفرد الضمير ردا على اللفظ دلالة على كمال القدرة بعظيم[2] التصريف برا و بحرا أو تنبيها بالتذكير على قوة المركوب لأن الذكر أقوى من الأنثى.

و لما أتم النعمة بخلق كل ما تدعو إليه الحاجة[3]، و جعله على وجه دال على ما له من الصفات، ذكر ما ينبغى أن يكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم من شكر المنعم، فقال [دالا على عظيم قدر النعمة و علو غايتها و علو أمر الذكر بحرف التراخى - [4]] : ﴿ ثم تذكروا ﴾ أى بقلوبكم، و صرف القول إلى وصف التربية حثا على تذكر إحسانه للانتهاء عن كفرانه و الإقبال على شكرانه فقال : ﴿ نعمة ربكم ﴾ الذى أحسن إليكم بنعمة تسخيرها لكم و ما تعرفونه من غيرها.

و لما كان الاعتدال عليه أمرا خارقا للعادة بدليل ما لايركب من الحيوانات فى البر و الجوامد فى البحر و إن كان قد أسقط العجب [فيه-[4]] كثرة إلفه، ذكر به فقال : ﴿ اذا استويتم عليه ﴾ و لما كان تذكر النعمة

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : و تعظيم (٣-٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ : الحاجة إليه (٤) زيد من م و مد.

يبعث الجنان و اللسان [و الأركان - [1]] على الشكر لمن أسداها[2] قال: ﴿ و تقولوا ﴾ [أى - [1]] بألسنتكم جمعا بين القلب و اللسان . و لما كان الاستواء على ذلك مقتضيا لتذكر النقص بالاحتياج إليها فى بلوغ ما ركبت لأجله و فى الثبات عليها و خوف العطب منها و تذكر أن من لايزال يحسن / إلى أهل العجز الذين هم [فى - [3]] قبضته ابتداء و انتهاء ٦٨٠ / من غير شيء يرجوه منهم لا[4] يكون إلا بعيدا من صفات الدناءة و أن استواءه على عرشه ليس كهذا[5] الاستواء المقارن[6] لهذه النقائص[7] و أنه ليس كمثله شيء، كان المقام للتنزيه [فقال - [3]]: ﴿ سبحن الذى سخر ﴾ أى بعلمه الكامل و قدرته التامة ﴿ لنا هذا ﴾ أى الذى ركبناه سفينة كان[8] أو دابة ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ كنا ﴾ و لما كان [كل - [9]] من المركوبين فى الواقع أقوى من الركاب، جعل عدم إطاقتهم له [و - [1]] قدرتهم عليه كأنه خاص به، فقال مقدما للجار دلالة على ذلك: ﴿ له مقرنين ﴾ أى ما كان[10] فى جبلتنا إطاقة أن يكون قرنا له وحده لخروج قوته من بين ما نعالجه و نعانيه عن طاقتنا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اهداها. (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: هكذا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموازن (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التعارض (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانت (٩) زيد من مد (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: كنا.

بكل اعتبار و لا مكافئين فى القوة غالبين ضابطين، مطيقين من أقرن[1] الأمر: أطاقه[2] و قوى عليه فصار[3] بحيث يقرنه بما شاء.

و لما كان كل راكب شيئا من [4]هذين الصنفين[4] مستحضرا كل حين أنه ينقلب بطن شقة أسفاره إلى محل قراره[5]، ذكرهم سبحانه بذلك أن ظهر هذه الأرض لهم مثل ظهور السفن و الدواب يسبحون بها فى لجج[6] أمواج الزمان و تصاريف الحدثان، هم على ظهرها مسافرون، و لكنهم لطول الإلف عنه غافلون، و قليلا ما يذكرون، و أنهم على خطر فيما صاروا إليه من ظهور هذه الأشياء يوشك أن يكون سبب موتهم و مثير[7] هلكهم و فوتهم، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن ربنا كان ابتداؤنا لا نعلم شيئا و لانقدر على شيء، و الآن نحن متى شئنا ساكنون، و مهما أردنا منتشرون ﴿و انآ الى ربنا﴾ المحسن إلينا بالبداءة و الإقرار على هذه التنقلات على هذه المراكيب لا إلى غيره ﴿لمنقلبون ه﴾ أي اصائرون[8] و متوجهون و سائرون بالموت و ما بعده إلى الدار الآخرة انقلابا لا أياب معه إلى هذه الدار، فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الأخروى، و أكد لأجل إنكارهم للبعث حتى لايزالوا مراقبين

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اقران (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحاقة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صار (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل هذه الأصناف (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قران (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحجج (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مشير (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صائرون.

للنعم عليهم، و يجوز أن يكون المعنى أنه لما أمرهم بالمراقبة على نعمة الركوب، عبر بالانقلاب تذكيرا بنعمته عليهم فى حال الدعة و السكون قبل الانقلاب وبعده، أى و إنا[1] بعد رجوعنا إلى نعمة ربنا لمنقلبون أى إنا فى نعمة فى كل حال، روى أحمد و أبو داود و الترمذى[2] - و قال: حسن صحيح - و النسائى عن على رضى الله عنه أنه وضع رجله فى الركاب و قال: بسم الله، فلما استوى على الدابة قال: الحمدلله الذى سخر لنا هذا - الآية، ثم حمد الله ثلاثا و كبر ثلاثا ثم [قال -[3]]: سبحانك[4] لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى، ثم ضحك، و أخبر أن النبى صلى الله عليه و سلم فعل مثله، و قال: يعجب الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لى و يقول: علم عبدى أنه لايغفر الذنوب غيرى. روى أحمد[5] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أردفه على دابة، فلما استوى عليها كبر / ثلاثا و حمد الله ثلاثا و سبح ثلاثا / ٦٨١
و هلل الله واحدة[6] ثم استلقى عليه فضحك ثم أقبل [على -[7]] فقال: ما من امرئ مسلم[8] ركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عليه يضحك [إليه -[7]] كما ضحكت إليك: و روى أحمد[9] و مسلم و أبو داود

(١) و من هنا انقطعت نسخة م انقطاعا طويلا سننبه على استئنافها (٢) راجع ٢/١٨٢ باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة (٣) زيد من مد (٤) من مد و الترمذى، و فى الأصل و ظ: سبحان الله (٥) راجع ١ / ٣٣٠ (٦) من مد و المسند، و فى الأصل و ظ: وحده (٧) زيد من مد و المسند (٨) ليس فى المسند (٩) فى مسنده ٢ / ١٤٤.

و النسائى و الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال : سبحٰن الذى سخر لنا هذا - الآية ، ثم يقول : اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر و التقوى و من العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر و اطو لنا البعيد ، اللهم أنت الصاحب فى السفر و الخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا و اخلفنا[1] فى أهلنا ، وكان إذا رجع إلى أهله قال : آئبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون . و روى أحمد[2] عن أبى لاس[3] الخزاعى رضى الله عنه قال : حملنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج ، فقلنا : يا رسول الله ! ما نرى أن تحملنا هذه ، فقال : ما من بعير إلا فى ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم[4] ثم امتهنوها[5] لأنفسكم فانما يحمل الله عز و جل .

و لما علم بهذا الاعتراف منه و ما تبعه من التقريب أن العالم كله متزاوج بتسخير بعضه لبعض ، فثبت أن خالقه مباين له لا يصح أصلا أن يكون محتاجا بوجه لأنه لا مثل له أصلا ، كان موضع التعجيب من نسبتهم الولد إليه سبحانه : فقال لافتا القول عن خطابهم للاعراض المؤذن بالغضب : ﴿ و جعلوا ﴾ أى و لئن سألتهم ليقولن [كذا - [6]] اللازم منه قطعا لأنه لا مثل ﴿ له ﴾ و الحال أنهم نسبوا له و صيروا[7] بقولهم قبل

(١) من ظ و مد و المسند ، و فى الإصل : اختلفنا (٢) راجع مسنده ٤ / ٢٢١ .
(٣) من ظ و مد و المسند ، و فى الاصل : ان لانه (٤) فى المسند : امرتكم .
(٥) من مد و المسند ، و فى الاصل و ظ : أشتهوها (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : صبوا .

سؤالك

سؤالك إياهم نسبة هم حاكمون بها حكما لا يتمارون فيه كأنهم متمكنون من ذلك تمكن الجاعل فيما يجعله ﴿ من عباده ﴾ الذين[1] أبدعهم كما أبدع غيرهم ﴿ جزءا ﴾ أى ولدا هو لخصرهم إياه فى الأنثى أحد قسمى الأولاد، وكل ولد فهو جزؤ من والده، و من كان له جزؤ كان محتاجا فلم يكن إلاها، و ذلك لقولهم: الملائكة بنات الله، فثبت بذلك طيش عقولهم و سخافة آرائهم.

و لما كان هذا فى غاية الغلظة من الكفر، قال مؤكدا لإنكارهم أن يكون عندهم كفر: ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى هم بعضه ﴿ لكفور مبين ﴾ أى مبين الكفر فى نفسه مناد عليها بالكفر بيانا لذلك لكل أحد هذا[2] ما تقتضيه طبعه بما هو عليه من النقص بالشهوات و الحظوظ ليبين[3] فضل من حفظه الله بالعقل على من سواه من جميع المخلوقات بمجاهدته لعدو [و - [4]] هو بين جنبيه[5] مع ظهور قدرة الله الباهرة بذلك.

و لما كان كأنه قيل إنكارا عليهم و تهكما بهم حيث لم يرضوا بأن[6] جعلوا لمن إليه الجعل من عباده جزءا حتى جعلوه شر الجزئين الإناث، و هم[7] أشد الناس نفرة منهن: أوهب له ذلك الجزء الذى جعلتموه إناثا غيره قسرا بحيث لم يقدر/ أن ينفك عنه كما قدم فى السورة التى / ٦٨٢

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: ها.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لبين (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: جلسه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بمن (٧) فى مد: هو.

قبلها عن نفسه المقدس أنه يهب لمن يشاء إناثا و لا يقدر على التقصير عنهن بوجه ، عادله بقوله عائدا إلى الخطاب لأنه أقعد فى التبكيت على اختيار الغى عن الصواب: ﴿ام اتخذ﴾ [أى عالج هو نفسه فأخذ بعد المعالجة و هو خالق الخلق كلهم - [1]] ﴿ [2]مما يخلق[2] ﴾ أى يجدد إبداعه فى كل وقت كما اعترفتم[3] ﴿ بنت[4] ﴾ فلم يقدر بعد التكليف و التعب على غير البنات التى هى أبغض الجزئين إليكم، و نكر لتخصيصهم اتخاذه ببعض هذا الصنف الذى شاركه فيه غيره ، و عطف على قوله "اتخذ" ليكون منفيا على أبلغ وجه لكونه فى حيز الإنكار: ﴿و اصفكم﴾ و هو السيد و أنتم عبيده ﴿ بالبنين ه ﴾ أى الجزء الأكمل لديكم المستحق لأن يكون دائما مستحضرا فى الخاطر فلذلك[5] عرفه و لأنهم ادعوا أن هذا النوع كله خاص بهم لم يشاركهم فى شيء منه ، فكان هذا الكفر الثانى أعرق[6] فى المحال من الأول للزيادة على مطلق الحاجة بالسفه فى أنه رضى بالدون[7] الخسيس فلم يشاركهم فى شيء من الأعلى ، بل جعل لهم ذلك خالصا صافيا عن أدنى ما يشوبه من كدر . و لما كانت[8] نسبة الولد إليه سبحانه مما لا ينبغى أن يخطر بالبال على حال من الأحوال .

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) و قع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « كما اعترفتم » و الترتيب من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعترفهم (٤) وقع فى الأصل و ظ : بعد « فيه غيره » و الترتيب من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ولذلك (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعرف (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان.

و كانت نسبته على سبيل الحقيقة أبعد منها[1] على طريق المثال بأن يقال: الملائكة[2] عنده فى العزة بمنزلة البنات عند الأب، قال مرشدا إلى أن ما قالوه لو كان على قصد التمثيل فى غاية القباحة فضلا عن أن يكون على التحقيق، عائدا[3] إلى الإعراض المؤذن بالمقت والإبعاد: ﴿ و اذا ﴾ أى جعلوا ذلك و الحال أنه إذا ﴿ بشر ﴾ من أى مبشر كان ﴿ احدهم ﴾ أطلق [4]عليه ذلك[4] تنبيها على أنه مما يسر[5] كالذكر سواء فى أن كلا منهما ولد[6] و تارة يسر و تارة يضر و هو نعمة من الخالق لأنه خير من العقم ﴿ بما ضرب ﴾ و عدل عن الوصف بالربوبية لأنه قد يدعى المشاركة فى مطلق التربية إلى الوصف الدال على عموم الرحمة، فتأمله بمجرده كاف فى الزجر عن سوء قولهم فقال: ﴿ للرحمن ﴾ أى الذى لا نعمة على شيء[7] من الخلق إلا و هى منه ﴿ مثلا ﴾ أى جعل له شبها و هو الأنثى، و عبر به دون أن يقول: بما جعل، موضع «بما ضرب» تعليما للأدب فى حقه سبحانه فى هذه السورة التى مقصودها العلم الموجب للأدب و زيادة فى تقبيح كفرهم لاسيما إن أرادوا الحقيقة بالإشارة إلى أن الولد لا يكون [إلا -[8]] مثل الوالد، لا يتصور أصلا أن يكون خارجا عن شبهه فى خاص أوصافه.

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: منهما (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: للملايكة (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: أبدا (٤-٤) فى ظ: ذلك عليه (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بشر (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: والد.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: أحد (٨) زيد من مد.

و لما كان تغير الوجه لا سيما بالسواد لا يدرك حق الإدراك إلا بالنهار، عبر بما هو حقيقة فى الدوام نهارا و إن كان المراد هنا مطلق الدوام: ﴿ ظل ﴾ أى دام ﴿ وجهه مسودا ﴾ أى شديد السواد لما يجد من الكراهة الموصلة إلى الحنق بهذه البشارة التى أبانت التجربة عن أنها قد تكون سارة[١] ﴿ و هو كظيم ﴾ أى حابس نفسه على ما ملئ من الكرب فكيف يأنف عاقل من شىء و يرضاه لعبده[٢] فضلا عن مكافيه فضلا عن سيده / - هذا ما لا يرضى عاقل أن يمر بفكره فضلا عن أن يتفوه [به -[٣]] . ٦٨٣ /

و لما كان الملك [٤]لا يأخذ فى[٤] جنده إلا من يصلح للجندية بالمجالدة و المجادلة أو بأحداهما، نبه على إنكار آخر بأن الإناث لا يصلحن لشىء من هذين الوصفين، فقال معبدا لإنكار الثالث تنبيها على أنه بالغ جدا فى إثارة الغضب: ﴿ او من ﴾ أى اتخذ من لا يرضونه لأنفسهم [... لنفسه مع أنفتهم منه -[٣]] و اتخذ من ﴿ ينشؤا ﴾ أى على ما جرت به عوائدكم [على قراءة الجماعة، و من تنشؤنه و تحلونه بجهدكم على قراءة ضم الياء و تشديد الشين -[٣]] ﴿ فى الحلية ﴾ أى فى الزينة فيكون كلا على أبيه[٥] لا يصلح لحرب [٦]و لا لمعالجة طعن و لا ضرب[٦] ﴿ و هو ﴾

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: سادة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لبعده (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لا يا - كذا. (٥) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى مد فحذفناها (٦-٦) وقع ما بين الرقمين فى الأصل وظ بعد « لا يرضونه لأنفسهم » و الترتيب من مد.

أى

[أى و الحال أنه ، و قدم لإفادة الاهتمام قوله -[١]] : ﴿ فى الخصام ﴾ إذا احتيج[٢] إليه ﴿ غير مبين ۝ ﴾ أى لا يحصل[٣] منه إبانة مطلقة كاملة لما يريده لنقصان العقل و ضعف الرأى بتدافع الحظوظ و الشهوات و تمكن[٤] السعة ، فلا دفاع عنده بيد و لا لسان .

و لما كان ربما ظن أن المحذور إنما هو جعلهم عليهم السلام إناثا بقيد النسبة إليه سبحانه ، نبه على [أن -[١]] ذلك قبيح فى نفسه مطلقا لدلالته على احتقارهم و انتقاصهم فهو كفر ثالث إلى الكفرين قبله : نسبة الولد إليه سبحانه ثم جعل أخص النوعين ، فقال : ﴿ و جعلوا ﴾ أى مجترئين على ما لاينبغى لعاقل فعله ﴿ الملئكة الذين هم ﴾ متصفون بأشرف الأوصاف أنهم ﴿ عبد الرحمن ﴾ العام النعمة الذى خلقهم فهم بعض من يتعبد[٥] له و هم عباده[٦] و حقيقة لأنهم ما عصوه طرفة عين ، فهم أهل لأن يكونوا على أكمل الأحوال ، و قراءة « عند »[٧] بالنون شديدة المناداة عليهم بالسفه ، و ذلك أن أهل حضرة الملك الذين يصرفهم فى المهمات[٨] لايكونون إلا على أكمل الأحوال و عنديته[٩] أنهم لم[١٠] يعصوه قط و هم فى محل مقدس عن المعاصى مشرف بالطاعات و أهل الاصطفاء ،

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : انتج (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايصلح (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يمكن (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقصد (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٠٦ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المهما (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عبديتهم (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

و ذكر المفعول الثانى للجعل الذى بمعنى التعبير الاعتقادى و القول فقال: ﴿ اناثا[1] ﴾ و ذلك أدنى الأوصاف خلقا وو خلقا ذاتا و صفة ، ثم دل على كذبهم فى هذا المطلق ليدل على كذبهم فى المقيد من باب الأولى فقال تهكما بهم و توبيخا لهم و إنكارا عليهم إظهارا[1] لفساد عقولهم بأن دعاويهم[2] مجردة عن الأدلة : ﴿ اشهدوا ﴾ أى حضروا حضورا هم فيه على تمام الخبرة ظاهرا و باطنا ـ هذا هو معنى قراءة الجماعة ، و أدخل نافع[3] همزة التوبيخ على أخرى مضمومة لبناء الفعل للفعول تنبيها على عجزهم عن شهود ذلك إلا بمن يشهدهم إياه ، و هو الخالق لا غيره ، و مدها فى إحدى الروايتين زيادة فى المناداة عليهم بالفضيحة ، و سهل الثانية بينها[4] و بين الواو إشارة إلى انحطاط أمرهم و سفول آرائهم و أفعالهم ، و جميع تقلباتهم و أحوالهم كما[5] سيكشف عنه الزمان و نوازل الحدثان ﴿ خلقهم[1] ﴾ أى مطلق الخلق فى أصله أو[6] عند الولادة أو بعدها على حال من الأحوال [7]حضورا أوجب لهم تحقق ما قالوا بأن لم يغيبوا / عن شىء من الأحوال[7] الدالة / ٦٨٤
على ذلك أعم من أن تكون تلك الشهادة حسية بنظر العين أو معنوية بعلم ضرورى أو استدلالى بعقل أو سمع .

و لما كان الجواب قطعا: لا ، قال مهددا لهم مؤكدا لتهديدهم

---

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : اظهار (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : دعاهم .
(٣) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٠٦ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينهما .
(٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ « و »
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد .

بالسين لظنهم أن[1] لا بعث [2] و لا حساب و لا حشر و لا [2] نشر فقال[3]: ﴿ستكتب﴾ بكتابة من وكلنا[3] بهم[4] من[5] الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع ما نأمرهم به - هذا على قراءة الجماعة بالتاء و البناء للفعول[6]، و عظم الكتابة تفخيما للوعيد و إكبارا [لما -[7]] اشتمل عليه من التهديد فى قراءة النون المفيدة للعظمة و البناء للفاعل و نصب الشهادة ﴿شهادتهم﴾ أى قولهم فيهم أنهم أناث الذى لاينبغى أن يكون إلا بعد تمام المشاهدة، فهو قول ركيك سخيف ضعيف - بما أشار إليه التأنيث فى قراءة الجماعة ﴿و يسئلون ه﴾ عنها عند الرجوع إلينا. و يجوز أن يكون فى السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة و لا علم لهم به، فانه قد روى أبو أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: كاتب الحسنات على يمين الرجل و كاتب السيئات على يسار الرجل، و كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، و إذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات، لعله يسبح الله أو يستغفر - رواه الشعبى و البغوى من طريقه و الطبرانى و البيهقى من طريق جعفر عن القاسم عن أبى أمامة و البيهقى من رواية[8] بشر بن نمير[9] عن القاسم نحوه و أبو نعيم فى الحلية و ابن مردويه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: وكلهم (٤) فى مد: به (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: و هم (٦) راجع نثر المرجان ٦/٤٠٧ (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: رواته (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: نهير.

من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء عن عروة بن رويم عن القاسم عن أبي أمامة رضى الله عنه، و روى[1] الحاكم[2] و قال: صحيح الإسناد عن أم عصمة العوصية[3] رضى الله تعالى عنها قال: ما من مسلم يعمل ذنبا إلا يقف الملك ثلاث ساعات، فان استغفر من ذنبه لم يوقعه عليه و لم يعذب[4] يوم القيامة .

و لما ذكر أنهم يسئلون بطريق الأولى عن العبادة، نبه[5] على أنهم عبدوهم مع ادعاء[6] الأنوثة فيهم، فقال معجبا منهم فى ذلك و فى جعل قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم و هو من أوهى[7] الشبه: ﴿و قالوا﴾ أى بعد عبادتهم لهم و نهيهم عن عبادة غير الله: ﴿لو شآء الرحمن﴾ [أى -[8]] الذى له عموم الرحمة [﴿ما عبدنٰهم﴾ لأن عموم الرحمة -[8]] يمنع الإقرار على ما لاينبغى و لكنه لم يشأ عدم عبادتنا لهم فعبدناهم طوع مشيته، فعبادتنا لهم حق، و لو لا أنها حق يرضاه[9] لنا لعجل لنا العقوبة .

و لما كان كأنه قيل: بما ذا يجابون عن هذا، قال منبها على جوابهم بقوله دالا على أن أصول الدين لايتكلم فيها إلا بقاطع: ﴿ما لهم بذلك﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: رواه (٢) راجع المستدرك ٤ / ٢٦٢. (٣) من مد و المستدرك، و فى لأصل و ظ: العصوية (٤) من المستدرك، و فى الأصول: لم يعذبه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ادعائهم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: واهى. (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يرضاها .

أى

أى بهذا المعنى البعيد عن الصواب الذى قصدوا جعله دليلا على حقية[1] عبادتهم لهم و هو / أنه سبحانه لايشاء إلا ما هو حق و يرضاه و يأمر به، و من أن الملائكة إناث، و أكد الاستغراق بقوله: ﴿ من علم ق ﴾ / ٦٨٥ أى لأنه لو لزم هذا لكان وضعه بعموم الرحمة حينئذ [2]اضطراريا لا اختياريا[2] فيؤدى إلى نقص لا إلى كمال، و لكان أيضا ذلك يؤدى إلى إيجاب أن يكون الناس كلهم مرضيا عنهم لكونهم على حق، و ذلك مؤد بلا ريب إلى كون النقيضين معا حقا، و هو بديهى الاستحالة.

و لما كان العلم قد ينتفى[3] و المعلوم ثابت فى نفسه قال نافيا لذلك: ﴿ ان هم ﴾ أى ما هم ﴿ الا يخرصون ﴾ أى[4] يكذبون فى هذه النتيجة التى[5] زعموا أنها دلتهم على رضا الله سبحانه لكفرهم فانها مبنية على أنه سبحانه لايشاء إلا ما هو حق، و الذى جرأهم على ذلك أنهم يجددون على الدوام القول بغير تثبت[6] و لا تحر، فكان أكثر قولهم كذبا، فصاروا لذلك يجترؤن[7] على تعمد القول للظن الذى لايأمن صاحبه من الوقوع فى صريح، و سيأتى تمام إبطال هذه الشبهة بقوله تعالى "قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العبدين" و أن ذلك هو المراد لاما طال الخبط فيه لإهمال فى[8] السوابق و اللواحق الموجبة لسوق المقال، مطابقا[9] لمقتضى الحال،

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقة (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اضطرار بالاختيار (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ينبغى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الذين (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تثبيت (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يجرون (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مع (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مطابقا.

و قد جهلوا فى [1]هذا الكلام[1] عدة جهالات : ادعاء الولدية[2] للغنى المطلق ، وكون الولد أدنى الصنفين ، و عبادتهم لهم مع أنفسهم منهم بغير دليل ، و احتياجهم على صحة فعلهم بتقدير علم على ذلك و هو قد نهاهم عنه بلسان كل رسول ، و ظنهم أنه لا يشاء إلا ما هو الحق المؤدى إلى الجمع بين النقيضين إذ لاريب فيه و لا خفاء [به - [3]] .

و لما كان الإيمان بالملائكة الذين هم جند الملك من دعائم أصول الدين ، و كان الإيمان بالشيء إن لم يكن على ما هو عليه الشيء و لو بأدنى الوجوه كان مختلا ، و أخبر سبحانه أنهم وصفوهم بغير ما هم عليه ففرطوا بوصفهم بالبنات حتى أنزلوهم إلى الحضيض و أفرطوا بالعبادة[4] حتى أعلوهم عن قدرهم فانسلخوا فى كلا الأمرين من صريح العقل بما أشار إليه ما مضى ، أتبع ذلك أنهم عريثون[5] أيضا من صحيح النقل ، فقال معادلا لقوله " اشهدوا خلقهم " إنكارا عليهم بعد إنكار ، [6]موجبا ذلك[6] أعظم العار ، لافتا القول عن الوصف بالرحمة تنبيها بمظهر العظمة على أن حكمه تعالى [7]متى برز لم يسع سامعه إلا[7] الوقوف عنده و الامتثال على كل[8] حال و إلا حل به أعظم النكال : ﴿ام اتينهم﴾ على

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الألفاظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الولد (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالعباد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : غريقون (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : موجب لهم (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدى لم يسمع ما معه (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : أكل .

بما لنا من العظمة ﴿ كتبا ﴾ أى جامعا لما يريدون اعتقاده من أقوالهم هذه ﴿ من قبله ﴾ أى القرآن أخبرناهم فيه أنا جعلناهم إناثا و أنا لا نشاء إلا ما هو حق نرضاه و نأمر به ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب[1] عن هذا الإيتاء أنهم ﴿ به ﴾ أى وحده ﴿ مستمسكون ﴾ أى موجدون الاستمساك[2] به و طالبون للثبات عليه فى عبادة غير الله، و فى [أن -[3]] ذلك حق لكونه لم يعاجلهم بالعقوبة، و [فى -[3]] وصفهم الملائكة بالأنوثة، و فى غير ذلك من كل ما يرتكبونه / باطلا، و الإنكار يقتضى نفى ما دخل / ٦٨٦ عليه [من -[3]] إيتاء الكتاب كما انتفى إشهاده [لهم -[3]] خلقهم، و هذه المعادلة التى لا يشك فيها من له بصر بالكلام تدل على صحة كون الإشارة فى " ما لهم بذلك من علم " شاملة لدعواهم الأنوثة فى الملائكة :

و لما كان الجواب قطعا عن هذين الاستفهامين : ليس لهم ذلك على مطلق ما قالوا و لا مقيده من صريح عقل و لا صحيح نقل إلى من يصح النقل عنه من أهل العلم بالأخبار الإلهية، نسق عليه قوله إرشادا إليه : ﴿ بل قالوا ﴾ أى فى جوابهم عن [4]قول ذلك و اعتقاده[4] مؤكدين إظهارا جهلا أو تجاهلا لأن ذلك لم يعب عليهم إلا لظن[5] أنه لا سلف لهم أصلا فيه، [6]فاذا ثبت[6] أنه عمن تقدمهم[7] انفصل النزاع :

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : فسبب (٢) فى مد : للامساك (٣) زيد من مد.
(٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ : قولهم و اعتقادهم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : الظن (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فانه اثلت (٧) من مد، و فى الاصل و ظ : تعذبهم .

﴿ انا وجدنآ ا۬بآءنا ﴾ أى و هم أرجح منا عقولا و أصح أفهاما ﴿ علىٰٓ امة ﴾ أى طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد و تؤم مثل رحلة بمعنى شيء هو أهل لأن يرحل إليه ، و كذا قدوة و نحوه ، و قراءة الكسر معناها حالة حسنة يحق لها ان تؤم ﴿ وانا علىٰٓ ا۬ثارهم ﴾ أى خاصة لا على غيرها و نحن فى غاية الاجتهاد و القص للآثار و إن لم نجد عينا تحققها .

و لما علم ذلك من حالهم ، و لم يكن صريحا فى الدلالة على الهداية ، بينوا الجار و المجرور ، و أخبروا بعد الإخبار و استنتجوا منه قولهم استئنافا لجواب من سأل : ﴿ مهتدون ۝ ﴾ أى نحن ، فاذا ثبت بهذا الكلام المؤكد أنا ما أتينا بشيء من عند أنفسنا و لا غلطنا فى الاتباع و اقتفاء الآثار ، فلا اعتراض علينا بوجه ، هذا قوله فى الدين بل فى أصوله التى من ضل فى شيء منها هلك ، و لو ظهر لأحد منهم خلل فى سعى [أبيه - [1]] الدنيوى الذى به يحصل الدينار و الدرهم ما اقتدى به أصلا و خالفه أى مخالفة . ما هذا[2] إلا لمحض الهوى و قصور النظر ، و جعل محطه الأمر الدنيوى الحاضر ، لا نفوذ لهم فى المعانى بوجه .

و لما كان ترك المدعو للدليل و اتباعه للهوى غائظا موجعا و منكسا[3] مولما ، قال[4] يسليه صلى الله عليه و سلم عاطفا على قوله : ﴿ و كذلك ﴾

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لهذى ، و فى ظ : لهذى (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : مبليا (٤) زيد فى الأصل : مسليا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

أى

أى و مثل هذا الفعل المتناهى فى البشاعة فعلت الأمم الماضية مع إخوانك الأنبياء عليهم الصلاة و السلام؛ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ مآ ارسلنا ﴾ مع ما لنا من العظمة .

و لما كانت مقالة قريش قد تقدمت و المراد التسلية بغيرهم، و كان صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين فلا أمة لغيره فى زمانه و لا بعده يسليه بها، سلاه بمن مضى، و قدم ذكر القبلية اهتماما بالتسلية و تخليصا لها من أن يتوهم أنه يكون معه فى زمانه أو بعده نذير، و إفهاما لأن المجدد لشريعته إنما يكون مغيثا[1] لأمته و بشيرا لا نذيرا لثباتهم على الدين بتصديقهم جميع النبيين فقال تعالى: ﴿ من قبلك ﴾ أى فى الأزمنة السالفة حتى[2] القريبة منك جدا، فان التسلية بالأقرب أعظم، و أثبت الجار لأن الإرسال بالفعل لم يعم جميع الأزمنة، و أسقط هذه القبلية فى «سبإ» لأن المراد فيها التعميم لأنه لم يتقدم لقريش ذكر حتى يخص من قبلهم. و لما كان أهل / القرى أقرب إلى العقل و أولى بالحكمة و الحكم، / ٦٨٧
قال: ﴿ فى قرية ﴾ و أعرق فى النفى بقوله: ﴿ من نذير ﴾ و بين به أن موضع الكراهة و الخلاف الإنذار على مخالفة الأهواء ﴿ الا قال مترفوهآ ﴾ أى أهل الترفه بالضم و هى النعمة و الطعام الطيب و الشيء الطريف يكون خاصة بالمترف[3]، و ذلك موجب للقلة و هو موجب للراحة و البطالة

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: مغشيا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بالمترفة .

الصارف عن جهد الاجتهاد إلى سفالة التقليد، و هو موجب لركوب الهواء و لو بان الدليل، وهو موجب للبغي و الإصرار عليه و اللجاجة فيـه و التجبر و الطغيان. و معظم الناس في[1] الأغلب أتباع لهؤلاء: ﴿ انا وجدنا ءاباءنا ﴾ أي و هم أعرف منا بالأمور ﴿ علىٓ امة ﴾ أي أمر جامع يستحق أن يقصد و يؤم و طريقة و دين، و أكدوا[2] قطعا لرجاء المخالف من لفتهم عن ذلك ﴿ و انا علىٓ ءاثارهم ﴾ لا غيرها. ثم بينوا الجار و المجرور و أخبروا خبرا ثانيا و استأنفوا لإتمام مرادهم قولهم إيضاحا لأن سبب القص القدوة[3]: ﴿ مقتدون ﴾ أي مستنون[4] أي راكبون سنن طريقهم لازمون له[5] لأنهم مقتدون [6]لأن تقدم[6] عليهم، و حالنا أطيب ما يكون في الاستقامة و أقرب و أسرع.

و لما كان كأنه قيل: فقال كل نذير: فما أصنع؟ أجاب بقوله: ﴿ قل ﴾ أي يا أيها النذير - هذا[7] على قراءة الجماعة، و على قراءة ابن عامر و حفص و عاصم[8] يكون التقدير أن السامع قال: فما قال النذير في جوابهم؟ فأجيب بقوله: قال إنكارا عليهم: ﴿ اولو ﴾ أي أتقتدون[9] بآبائكم على كل حال و تعدونهم مهتدين و لو ﴿ جئتكم ﴾ و الضمير

---

(١) زيد في الأصل و ظ: الأبلغ و، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها. (٢) من ظ و مد، و في الأصل: أكد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: القدرة (٤) من مد، و في الأصل و ظ: مستسنون (٥) من ظ و مد، و في الأصل: لها (٦-٦) في مد: لتقدم (٧) من مد، و في الأصل و ظ: بهذا. (٨) راجع نثر المرجان ٦ / ٤١١ (٩) من ظ و مد، و في الأصل: تقتدون - بدون همزة الاستفهام.

فيه للنذير، و فى قراءة أبى جعفر: أو لو جئتكم للنذر كلهم ﴿ باهدٰى ﴾ أى أمر أعظم فى الهداية و أوضح فى الدلالة ﴿ مما وجدتم ﴾ أى أيها المقتدون بالآباء[1] ﴿ عليه اٰباءكم ﴾ كما تضمن قولكم أنكم تقتفون فى اتباعهم بالآثار فى أعظم الأشياء. و هو الدين الذى الخسارة [فيه -[2]] خسارة للنفس و أنتم تخالفونهم فى أمر الدنيا إذا وجدتم طريقا أهدى من التصرف فيها من طريقهم و لو بأمر يسير، و يفتخر أحدكم بأنه أدرك من ذلك ما لم يدرك أبوه فحصل من المال أكثر مما حصل، فيا له من نظر ما أقصره، و متجر ما أخسره.

و لما كان من المعلوم أن النذر[3] قالوا لهم ما أمروا به؟ فتشوف السامع إلى جوابهم لهم، أجيب بقوله: ﴿ قالوآ ﴾ مؤكدين ردا لما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام من أنهم يبادرون النظر فى الدليل و الرجوع إلى[4] سواء السبيل: ﴿ انا بمآ ارسلتم به ﴾ أى أيها المدعون للارسال من أى مرسل كان، و لو ثبت ما زعمتموه من الرسالة و لو جئتمونا بما هو أهدى ﴿ كٰفرون ه ﴾ أى ساترون لما ظهر من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لأحد و لا يتبعهم فيه مخلوق.

و لما علم بهذا أن أمرهم وصل إلى العناد المسقط / للاحتجاج، /٦٨٨

(١) زيد فى الأصل: مما وجدتم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: النذراء (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: على.

سبب عنه قوله موعظة لهذه الأمة و بيانا لما خصها بـه من الرحمة: ﴿فانتقمنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى استحقوا بها ﴿منهم﴾ فأهلكناهم بعذاب الاستئصال، و عظم أثر النقمة بالأمر بالنظر فيها فى قوله: ﴿فانظر﴾ أى بسبب التعرف لذلك و بالاستفهام إشارة إلى أن ذلك أمر هو جدير لعظمه بخفاء سببه فقال: ﴿كيف كان عاقبة﴾ أى آخر أمر ﴿المكذبين ع﴾ أى إرسالنا فانهم هلكوا أجمعون، و نجا المؤمنون أجمعون، فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك.

و لما ذكر لهم الأدلة و حذرهم بالأخذ [1]و تحرر أنهم[1] مع التقليد لا ينفكون عنه، ذكرهم بأعظم آبائهم و محط فخرهم و أحقهم بالاتباع للفوز بأتباع الأب[2] فى ترك التقليد أو فى تقليده إن كان لا بد لهم من التقليد لكونه أعظم الآباء و لكونه مع الدليل، فقال عاطفا على ما تقديره للاشارة إلى تأمله و إمعان[3] النظر فيه: اذكر لهم ذلك: ﴿وإذ﴾ أى و اذكر لهم حين ﴿قال﴾ أعظم أبائهم و محط فخرهم و المجمع على محبته و حقية[4] دينه منهم و من أهل الكتاب و غيرهم ﴿ابرٰهيم لابيه﴾ من غير [5]أن يقلده[5] كما أنتم قلدتم آباءكم، و لما كانت مخالفة الواحد للجمع شديدة، ذكر لهم حاله فيها بيانا[6] لأنهم أحق منهم بالانفكاك عن

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: محوروايهم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الأدب (٣) فى مد: انعام (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: حنيفة.
(٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تقليده (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بيان.

التقليد ﴿ و قومه ﴾ الذين كانوا هم القوم فى الحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الأرض كما قلت: إنا لكم سواء و لما كانوا لايتخيلون أصلا أن أحدا يكون مخالفا لهم، أكد بالحرف و إظهار نون الوقاية فقال: ﴿ اننى ﴾ و زاد بالنعت[1] بالمصدر الذى يستوى فيه الواحد و غيره و المذكر و غيره لكونه مصدرا و إن وقع موقع الصفة باللفظ الدال على أنه مجسد من البراءة ، جعله على صورة المزيد لزيادة التأكيد فقال: ﴿ برآء ﴾ و من ضمه[2] جعله وصفا محضا مثل طوال فى طويل ﴿ مما تعبدون لا ﴾ فى الحال و الاستقبال مهما كان غير من اشتبه ، فانهم كانوا مشركين فلا بد من الاستثناء و من كونه متصلا ، قال[3] الإمام أبو [على -[4]] الحسن بن يحيى بن نصر الجرجانى فى كتاب بيان نظم القران ما حاصله: سر قول السلف أن الكلمة هنا أى الآية[5] فى قوله كلمة باقية " لا إله إلا الله " أن النفى و التبرئة[6] واحد فاننى براء بمنزلة لا ، و قوله "مما تعبدون" بمنزلة إله[7] إذ كل معبود يسمى إلها فآل[8] ذلك إلى: لا إله ﴿ الا الذى فطرنى ﴾ قال: فقد ضممت بهذا التأويل إلى فهمك الأول الذى استفدته [9]من الخبر[9] فهم المعرفة الحقيقية الذى أفاد له طباعك

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: بالنعمة (٢) راجع نثر الرجان ٦/٤١٤ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: قاله (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لايته (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: التزكية (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الا (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: قال (٩-٩) فى مد: بالخبر.

بالعبرة، و نبه بالوصف بالفطر على دليل اعتقاده أى الذى شق العدم فأخرجنى منه ثم شق هذه المشاعر و المدرك، و من كان بهذه القدرة الباهرة كان منفردا بالعظمة.

و لما كان الله سبحانه - و له[1] المن - قد أنعم بعد الإيجاد بما أشار إليه من العقل و الحواس المهيء، للهداية[2] من غير طلب، فكان
جديرا بأن يمنح قاصده بأعظم هداية / قال مسببا عن قطعه العلائق ٦٨٩ /
من سواه، مؤكدا لأجل من ينكر وصوله إلى حد[3] عمى عنه أسلافه ﴿فانه سيهدين﴾ أى هداية هى الهداية إلى ما لاح لى من الحقائق من كل ما يصلحنى لتوجهى إليه و توكلى عليه، لا مرية عندى فى هذا الاعتقاد، و قد أفاد بهذه المقترنة[4] بالسين هدايته فى الاستقبال بعد أن أفاد بقوله المحكى فى الشعراء " فهو يهدين " الهداية فى الحال وكأنه خص هذا بالسين لأجل ما عقبها به من عقبه، فجعل هدايتهم هدايته ﴿و جعلها﴾ أى جعل إبراهيم عليه الصلاة و السلام هذه الكلمة التى هى التوحيد بدليله ﴿كلمة باقية فى عقبه﴾ أى ذريته دعا[5] و هو مجاب الدعوة فى قوله: "و اجنبنى و بنى ان نعبد الاصنام" و فى قوله " و من ذريتى ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم ايٰتك و يعلمهم الكتٰب و الحكمة و يزكيهم انك انت العزيز الحكيم": ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى ليكون حالهم حال

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: له (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الهداية
(٣) فى مد: خبر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المعبرة (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بما دعوى.

من ينظر إليهم إن حصل منهم مخالفة و اعوجاج حال من يرجى رجوعه . فانهم إذا ذكروا أن أباهم الأعظم الذى بنى لهم البيت و أورثهم الفخر قال ذلك تابعوه ، و يجوز أن يتعلق بما يتعلق به « اذ » أى اذكر لهم قول أبيهم ليكون حالهم عند من يجهل العواقب حال [من يرجى - ١] رجوعه عن تقليد الجهلة من الآباء إلى اتباع هذا الأب الذى اتباعه لا يعد تقليدا لما على قوله من الأدلة التى تفوت الحصر فتضمن لمتبعها حتما تمام النصر ، و فى سوقه سوق المترجى إشارة إلى أنهم يكونون صنفين : صنفا يرجع و آخر لا يرجع .

و لما كان من المعلوم أن السامع يقول لمن أحاط علمه بهم و يعلم سرهم و علنهم ٢: يا رب ! بل رجعوا ، أجيب بقوله : ﴿ بل ﴾ أى لم يرجعوا بل استمروا لأجل إظهارى اقدرتى على القلوب باقحام ٣ أربابها برضاهم و اختيارهم فى أقبح الخطوب و أفحش الذنوب على ترك الطريق المنيع و الصراط الأقوم و زاغوا عنه زيغا عظيما . و استمروا فى ضلالهم و تيههم و لم أعاجلهم بالعقوبة لأنى ﴿ متعت ﴾ بافراده ضميره سبحانه لأن التمتيع يتضمن إطالة العمر التى لا يقدر عليها ظاهرا و لا باطنا سواه . و أما الانتقام فقد يجعله بأيدى عباده من الملائكة و غيرهم [فهو - ٤] من وادى "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، و املى لهم ان كيدى متين":

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تمكنهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالجام (٤) زيد من ظ و مد .

﴿ هؤلاء ﴾ أى الذين بحضرتك من المشركين و أعداء الدين ﴿ و اٰبآءهم ﴾ فمددت من الأعمار مع سلامة الأبدان و متانة الأركان، و إسباغ النعم و الإعفاء من البلايا و النقم، فأبطرتهم نعمى و أزهدتهم أيادى جودى و كرمى، و تمادى بهم ركوب ذلك الباطل ﴿ حتى جآءهم الحق ﴾ بهذا الدين المتين ﴿ و رسول مبين ﴾ أى أمره ظاهر فى نفسه، لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهية تنبئك بالخبر و هو مع ظهوره فى نفسه مظهر لكل معنى يحتاج إليه، و "متعت" بالخطاب من لسان الرسول المنزل عليه / هذا الكتاب لأنه يدعو انتهازا للفرصة لعله يجاب /٦٩٠ بما يزيل الغصة[١] يقول: يا رب! قد أقتهم لمن يجهل العواقب فى مقام من يرجى رجوعه فما نضيت بذلك بل متعت إلى آخره.

و لما كان التقدير: فلم يردهم التمتيع بادرار النعم عليهم و إسراعنا [بها -[٢]] إليهم [مع وضوح الأمر لهم، بل كان الإنعام عليهم سببا لبطرهم، و كان البطر سببا لتماديهم على الاستهانة بنعمتنا على عصيان أمرنا -[٣]] و هم يدعون أنهم أتبع الناس للحق و أكفهم عن الباطل، عطف عليه قوله: ﴿ و لما جآءهم الحق ﴾ أى الكامل فى حقيته[٣] [٤]بمطابقة الواقع إياه من غير إلباس و لا اشتباه[٤]، الظاهر فى كماله لكل من له أدنى لب بما عليه القرآن من الإعجاز فى نظمه، و ما عليه ما يدعو إليه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الفصه (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقته (٤-٤) و قع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ قبل « و هم يدعون » و الترتيب من مد.

من الحكمة من جميع حكمه ، و التصادق مع ما يعلمونه من دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام قبل أن يبدلوه و من أمر موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام من التوحيد ، زادوا على تلك الغفلة التى أدى إليها البطر بالنعمة ما هو شر من ذلك و هو التكذيب بأن ﴿قالوا﴾ مكابرة و عنادا و حسدا و بغيا من غير وقفة و لا تأمل : ﴿ هذا ﴾ مشيرين إلى الحق الذى يطابقه الواقع ، ولا شيء أثبت منه و هو القرآن و غيره مما أتى [به -١] من دلائل العرفان ﴿ سحر ﴾ أى خيال لا حقيقه له . و لما كان الحال مقتضيا من غير شك و لا وقفة لمعرفتهم لما جاء به و إذعانهم له قالوا مؤكدين لمدافعة ما ثبت فى النفوس من ذلك : ﴿ و انا به كفرون ﴾ أى عريقون فى ستره بخصوصه حتى لا يعرفه أحد ، و لا يكون له تابع .

و لما اخبر عن طعنهم فى القرآن أتبعه الإخبار عن طعنهم فيمن جاء به تعطية[2] لأمره عملا بأحبارهم فى ختام ما قبلها[3] عن أنفسهم بالكفر زيادة و إمعانا فيما كانت النعم أدتهم إليه من البطر فقال : ﴿ و قالوا ﴾ لما قهرهم ما ذكروا به مما يعرفعونه من [أمر -١] إبراهيم عليه الصلاة و السلام من النبوة و الرسالة ، و كذا من بعده من أولاده فلم يتهيأ لهم الإصرار على العناد[4] بانكار أن يكون النبى من البشر قول من له أمر عظيم فى التصرف فى الكون و التحكم على الملك الذى

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تعظيمه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قبلهم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الضاد .

لا يسئل عما يفعل، فأنكروا التخصيص بما [أتوا -[1]] به من التخصيص في قولهم: ﴿ لولا ﴾ أي هلا و لولا .

و لما كان إنزال القرآن نجوما على حسب التدريج، عبروا بما يوافق ذلك فقالوا: ﴿ نزل ﴾ أي من المنزل الذي ذكره محمد صلى الله عليه و سلم. و عينوا مرادهم و نفوا اللبس فقالوا بقسر[2] و غلظة كلمة على من يطلبهم لاصلاح حالهم[3] ﴿ هذا القرآن ﴾ أي الذي[3] جاء به محمد صلى الله عليه و سلم و ادعى أنه جامع لكل خير، ففيه إشارة إلى التحقير ﴿ على رجل من القريتين ﴾ أي مكة و الطائف، و لم يقل: إحدى - اغتناء عنها بوحدة رجل ﴿ عظيم ﴾ أي بما [4]به عندهم[4] من[5] العظمة و الجاه و المال و السن و نحو ذلك و هم عالمون أن شأن الملك إنما هو إرسال من يرتضونه لا من يقترحه الرعية، و[6] يعلمون أن للملك[7] المرسل له صلى الله عليه و سلم[8] الغني المطلق لكنهم جهلوا - مع أنه هو الذي / أفاض المال / ٦٩١ و الجاه - أنه ندب إلى الزهد فيهما و التخلي عنهما، و أنه لا يقرب إليه إلا إخلاص الإقبال[9] عليه الناشئ عن طهارة الروح و ذكاء الأخلاق و كمال الشمائل و التحلي بسائر الفضائل و التخلي عن جميع الرذائل، فقد

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤ - ٤) من ظ و مد، و في الاصل: عنه (٥) من مد، و في الأصل و ظ: « و » (٦) زيد في الأصل: هم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .
(٧) من ظ و مد، و في الأصل: الملك (٨) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) من مد، و في الأصل و ظ: اقبل .

جعلوا لإفراطهم فى الجهل الحالة البهيمية شرطا للوصول[1] إلى الحالة[2] الملكية المضادة لها بكل اعتبار .

و لما تضمن قولهم إثبات عظمة لأنفسهم بالاعتراض على الملك، قال منكرا عليهم موبخا لهم بما معناه أنـــه[3] ليس الأمر مردودا إليهم و لاموقوفا عليهم[4] بل هو[4] إلى الله وحده - " و الله اعـــلم حيث يجعل رسالته " ﴿ اهم ﴾ أى أهؤلاء الجهلة[5] العجزة ﴿ يقسمون ﴾ أى على التجدد و الاستمرار : و لفت القول عن إفراد[6] الضمير إلى صفة الرحمة المضافة إلى النبى صلى الله عليه و سلم تشريفا له و إظهارا لعلى قدره : ﴿ رحمت ربك ﴾ أى إكرام المحسن إليك و إنعامه و تشريفه بأنواع اللطف و البر و إعظامه بما رباك له من تخصيصك بالإرسال إليهم بتأهيلهم للانقاذ من الضلال، و جعلك و انت أفضل العالمين الرسول إليهم فعضلوا بفضيلتك مع أنك أشرفهم نسبا و أفضلهم حسبا و أعظمهم عقلا و أصفاهم لبا و أرحمهم قلبا ليتصرفوا فى تلك الرحمة التى هى روح الوجود و سر الأمر بحسب شهواتهم و هم لايقدرون على التصرف فى المتاع الزائل بمثل ذلك .

و لما نفى أن يكون لهم شىء[7] من القسم[8] قال جوابا لمن كأنه

---

(١) فى مد : فى الوصول (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : الحال (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : بانه (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ : برموا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : الجملة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : اقرار.
(٧) سقط من مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : انفسهم .

قال: فمن القاسم؟ دالا على بعدهم عن أن يكون إليهم شيء من قسم ما أعد لأديانهم بما يشاهدونه من بعدهم عن قسم ما أعد لأبدانهم، لافتا القول عن صفة الإحسان إلى مظهر العظمة إشارة إلى أنها تأبى المشاركة فى شيء و تقتضى التفرد: ﴿ نحن قسمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ بينهم ﴾ أى فى الأمر الذى يعمهم و يوجب تخصيص كل منهم[1] بما لديهم ﴿ معيشتهم ﴾ التى يعدونه رحمة و يقصرون عليها النعمة ﴿ فى الحيوٰة الدنيا ﴾ التى هى أدنى الأشياء عندنا، و أشار إلى أنها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل، و أما الآخرة فعبر عنها بالحيوان لأنا لو تركنا قسمها إليهم لتعاونوا[2] على ذلك فلم يبق منهم أحد فكيف يدخل فى الوهم أن يجعل إليهم شيئا من الكلام فى أمر النبوة التى هى روح الوجود، و بها سعادة الدارين: ﴿ و رفعنا ﴾ بما لنا من نفوذ الأمر ﴿ بعضهم ﴾ و إن كان ضعيف البدن قليل العقل ﴿ فوق بعض ﴾ و إن كان قويا غزير العقل ﴿ درجٰت ﴾ فى الجاه و المال و نفوذ الأمر و عظم القدر لينتظم حال الوجود، فانه لابد فى انتظامه من تشارك الموجودين و تعاونهم، تفاوتنا بينهم فى الجثث و القوى و الهمم ليقتسموا[3] الصنائع، و المعارف و البضائع، و يكون كل ميسر لما خلق له، و [4]جانحا إلى ما هى له[4] لتعاطيه، فلم يقدر أحد من دنيء أو غنى أن يعدو قدره

(١) سقط فى ظ و مد (٢) فى ظ و مد: لتعانوا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يتقسموا (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: حايجا لما و هى .

و ترتقي فوق منزلته .

و لما ذكر ذلك، علله بما ثمرته[1] عمارة الأرض / فقال : ﴿ ليتخذ ﴾ / ٦٩٢
أى بغاية جهده ﴿ بعضهم بعضا ﴾ [2] و لما كان المراد هنا الاستخدام دون الهزء لأنه لايليق التعليل به، أجمع القراء على ضم هذا الحرف هنا فقال: ﴿ سخريا[2] ﴾ أى أن يستعمله فيما ينوبه أو يتعسر أو يتعذر [3] عليه مباشرته ويأخذ للآخر منه من المال ما هو مفتقر إليـــه، فهذا بماله، و هذا بأعماله، و قـــد يكون الفقير أكمل من الغنى ليكمل بذلك نظام العالم لأنه لو تساوت المقادير لتعطلت المعايش، فلم [يقدر -[3]] أحد أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا [الأمر الدنىء -[3]] فكيف يطمعون فى الاعتراض فى امر النبوة، أيتصور[4] عاقل أن يتولى قسم الناقص و نكل العالى إلى غيرنا، قال ابن الجوزى: فاذا كانت الأرزاق بقدر الله لايحول المحتال و هى[5] دون النبوة فكيف تكون النبوة - انتهى .
و هذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة و السلطان إلى الوصف بالإحسان إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه و ســـلم ﴿ و رحمت ربك ﴾ أى المربى لك و المدبر لأمرك بارسالك و إنارة الوجود برسالتك التى هى لعظمتها جديرة بأن تضاف إليه و لايسمى غيرها رحمة ﴿ خير مما يجمعون ﴾ من الحطام الفانى فانه و إن تأتى فيه خير باستعماله فى وجوه البر بشرطه، فهذا بالنسبة إلى النبوة، و ما قارنا

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : عزته (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ : للآخر (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اى يتصور فى ذهن. (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : هو .

مما دعا إلى الإعراض عن الدنيا متلاش.

و لما دلت صريح آيـة التمتيع و تلويح ما بعدها أن البسط فى الرزق الموجب للعلو مع أنه خسيس المنزلة ناقص المقدار مقتض للخروج عن السواء، و كان التقدير: فنحن نخص بهذا الخير للأفراد فى الأدوار[1] الآحاد من الأبرار لنستنقذ بهم من شئنا من الضلال و نعطى الحطام للعتاة[2] الطغام الأرذال[2] ابتلاء للعباد ليبين لهم أهل البغى من أهل الرشاد، و لو لا ما اقتضته حكمتنا بترتيب هذا الوجود على الأسباب من المفاوتة بين الناس لقيام الوجود لساوينا بينهم، و عطف: عليه قوله مذكرا بلطفه[3] بالمؤمنين و بره لهم برفعه ما يقتضى لهم شديد المجاهدة وعظيم المصابرة و المكابدة لحال تزل فيه الأقدام عن سنن الهدى من الميل و الإصغاء إلى مظان الغنا و الملك و تمام المكنة و العظمة: ﴿و لو لآ ان يكون الناس﴾ أى أهل التمتع بالأموال بما فيهم من الاضطراب و الأنس بأنفسهم ﴿امة واحدة﴾ أى فى الضلال بالكفر لاعتقادهم أن اعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه لحبهم الدنيا و جعلها محط أنظارها و هممهم إلا من عصم الله ﴿لجعلنا﴾ أى فى كل زمان و كل مكان بما لنا من العظمة التى لم يقدر أحـــد على معارضتها لحقارة الدنيا عندنا و بعضنا لها

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: الاوارير (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العظام للاراذل، و فى ظ: العظام الأرذال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لطفه.

﴿لمن يكفر﴾ و قوله: ﴿ بالرحمن﴾ أى العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة إعطائها للبعد[1] الممقوت، و على أن صفة الرحمة مقتضية لتناهى بسط النعم عـــلى الكافر لو لا العلة التى ذكرها سبحانه من الرفق بالمؤمنين.

و لما كان / تزيين الظرف دائما بحسب زينة المظروف، دل على [2]ما لهم[2] من ملابسهم و مراكبهم و غير ذلك من أمورهم بزينة المنازل، فقال مبدلا [من -[3]] "لمن" بدل الاشتمال لأن سوقه على طريق الإبدال أورع: ﴿ لبيوتهم ﴾ أى التى ينزلونها ﴿ سقفا ﴾ أى هذا الجنس فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو[4] بالموحدة[5] بدليل قراءة الباقين بضمتين جمعا ﴿من فضة﴾ كأنه [خصها -[3]] لإفادتها النور ﴿و معارج﴾ أى من فضة، و هى المصاعد من الدرج لأن المشى عليها مثل مشى الأعرج ﴿ عليها يظهرون ﴾ أى يعلون[6] و يرتقون على ظهورها إلى المعالى ﴿ و لبيوتهم ابوابا ﴾ أى من فضة أيضا. / ٦٩٣

و لما كان إفراد السرير يوهم أنه واحد يدار[7] به على الكل، جمع ليفهم أن لكل[8] واحد ما يخصه من الأسرة بخلاف السقف فانه لا يوهم ذلك فلعله قرئ بافراده و جمعه، فقال: ﴿و سررا﴾ بالجمع خاصة، و دل

(١) فى ظ: العبد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: حالهم (٣) زيد من مد.
(٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع نثر المرجان ٥/ ٤٢٠ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يعولون (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يراد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الكل.

على هدوء بالهم و صفاء أوقاتهم و أحوالهم بقوله: ﴿عليها يتكئون﴾ و دل على ما لايتناهى من غير ذلك بقوله: ﴿و زخرفا﴾ أى ذهبا و زينة عامة [كاملة[1]].

و لما كان لفظ الزخرف دالا على كون ذلك [أمرا -[2]] ظاهريا متلاشيا عند التحقيق، دل عليه بقوله مؤكـدا لما تقرر فى النفوس من أن السادة فى مثل ذلك، و ما كان مقررا عندهم من أن السعيد فى الأولى سعيد فى الآخرة عـلى تقدير كونها: ﴿و ان﴾ أى و ما ﴿كل ذلك﴾ أى الأمر البعيد عن الخير لكونه فى الأغلب مبعدا مما يرضينا، و لأن صاحبه لايزال فقيرا و أن استوسقت له الدنيا ملكا و ملكا، لأنه لابد أن يبقى فى نفسه شىء لا تبلغه قدرته فهو لا يزال مغبونا ﴿لما﴾ أى إلا - هذا على قراءة عاصم و حمزة بالتشديد[3]: و هى فى قراءة الباقين بالتخفيف فارقة بين النافية و المخففة، و ما مؤكدة و الخبر هو[4] ﴿متاع الحيوة الدنيا﴾ أى التى اسمها[5] دال على دناءتها و أن لها [6]ضرة هى[6] الآخرة، و هو منقطع بالموت، فلذلك اقتضت رحمته أن لا يضيق على المؤمنين فى الأغلب لأن السعة تنقصهم فى الآخرة و يطول الحساب ﴿و الأخرة﴾ التى لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة إلا هى.

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٢١.
(٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اسا سها (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: صورتين.

و لما

و لما كانت الإضافة إلى الجليل دالة على جلالة المضاف إليه فقال: ﴿ عند ربك ﴾ و أشار بالوصف بالرب إلى أن الجلالة بالحسن و الراحة، و بالإضافة إليه صلى الله عليه و سلم فى أعلى الغايات ﴿ للتقين [4] ﴾ أى الذين هم دائماً [1] واقفون عن أدنى تصرف إلا بدليل لايشاركهم فيها غيرهم، و هذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى و قيصر و ما كانا فيه من النعم قال النبي صلى الله عليه و سلم: ألا نرضى أن يكون لهم الدنيا و لنا الآخرى. و لا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة من الجبارة من زخرفة [2] الأبنية و تركيب / السقوف و غيرها من مساوئ [3] الفتنة بأن يكون الناس أمة / ٦٩٤ واحدة بالكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول: الله، و فى زمن الدجال من يبقى إذ ذاك على الحق فى غاية القلة بحيث أنهم لا عداد [4] لهم فى جانب الكفرة. لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة، و إن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك.

و لما كان التقدير: و لكنا لم نجعل ذلك علما منا بأن الناس كادوا [5] يكونون أمة واحدة و إن كنا نقيض من جبلناه على الخير على الإيمان لكن ينقصه ما أوتى فى الدنيا من خطر فى الآخرة لأن من وسع عليه فى دنياه اشتغل فى الأغلب عن ذكر الله فنفرت منه الملائكة و لزمته الشياطين، فساقه ذلك إلى كل سوء، و من يتق الله فيديم ذكره يؤيده

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: دابا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: زخرف (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مبادى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عدد (٥) فى ظ و مد: كانوا.

بملك فهو له معين، عطف عليه قوله معبرا عن غفلة البصيرة بالعشا[١] الذى هو ضعف البصر تصورا لمن ينسى ذكر الله بأقبح صورة تنفيرا عن ذلك : ﴿ و من يعش ﴾ أى يفعل فعل المعاشى، و هو من شاء بصره بالليل و النهار أو عمى على قراءة شاذة و ردت عن يعقوب بفتح الشين[٢] و ركب[٣] الأمور[٤] متجاوزا ﴿ عن ذكر الرحمٰن ﴾ الذى عمت رحمته. فلا رحمة على أحد إلا وهى منه كما فعل هؤلاء حين متعناهم[٥] و آباءهم حيث ابطرهم ذلك، و هو شيء يسير جدا، فأعرضوا عن الآيات و الدلائل فلم ينظروا فيها إلا نظرا ضعيفا كنظر من عشى بصره ﴿ نقيض ﴾ [أى -[٦]] نقرر و نسلط و نقدر عقابا ﴿ له ﴾ على إعراضه عن ذكر الله ﴿ شيطنا ﴾ أى شخصا ناريا بعيدا من الرحمة يكون غالبا محيطا بـه مضيقا عليه مثل قيض البيضة و هو القشر الداخل ﴿ فهو له قرين ه ﴾ مشدود به كما يشد الأسير، ملازم فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله، فهو يزين له العمى و يخيل إليه أنه على عين الهدى، كما أن من يستبصر بذكر الرحمن يسخر له ملك[٧] فهو له ولى يبشره بكل خير، فذكر الله حصن حصين من الشيطان، متى خرج [العبد -[٤]] منه أسره العدو كما ورد فى الحديث، قال فى القاموس :

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : بالعشاة (٢) راجع نثر المرجان ٦/٤٢٢ (٣) من مد، و فى الاصل و ظ : ركوب (٤) زيد فى الأصل وظ :غير بيان، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٦) زيد من مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : ملكا.

[العشي -[1]] مقصور: سوء البصر بالليل و النهار أو العمى، عشي كرضي و دعا، و العشوة بالضم و الكسر: ركوب الأمر على غير بيان، قال ابن جرير[2]: و أصل العشو النظر بغير ثبت لعلة فى العين، و قال الرازى فى اللوامع: و أصل اللغة أن العين و الشين و الحرف المعتل يدل على ظلام[3] و قلة وضوح فى الشيء.

و لما كانت "من" عامة، و كان القرين للجنس، و أفرده لأنه نص على كل فرد، فكان التقدير: فانهم ليحملونهم على أنواع الدنايا و يفتحون لهم أبواب الرذائل و البلايا، و يحسنون لهم ارتكاب القبائح و الرزايا، عطف عليه قوله مؤكدا لما [فى -[1]] أنفس الأغلب - كما أشار إليه آخر الآية - أن الموسع عليه هو المهتدى، جامعا دلالة على كثرة الضال: ﴿ و انهم ﴾ أى القرناء ﴿ ليصدونهم ﴾ أى العاشين ﴿ عن السبيل ﴾ أى الطريق الذى من حاد عنه هلك، / لأنه لاطريق فى الحقيقة سواه. /٦٩٥

و لما كانت الحيـــدة عن السبيل إلى غير سبيل، بل إلى معاطب لايهتدى فيها دليل، عجبا، أتبعه عجبا آخر [فقال -[1]]: ﴿ و يحسبون ﴾ أى العاشون مع سيرهم فى المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ و الشهوات و إبعاذ المواعظ: ﴿ انهم مهتدون ﴾ أى عريقون فى هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم و التضييق على الذاكرين.

و لما كان من ضل عن الطريق، و من ظن أنه على صواب لايكاد

(١) زيد من مد (٢) راجع جامع البيان ٢٠/٣٩ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: كلام.

يتمادى بل ينجلى له الحال عن قرب[1] ضم إلى العجبين الماضيين عجبا ثالثا بيانا له على ما تقديره: [2]و نملى لهذا[2] العاشى استدراجا له و ابتلاء لغيره و نمد[3] ذلك طول حياته ﴿حتى[آ]﴾ و حقق الخبر بقوله: ﴿اذا﴾ و لما علم من الجمع فيما قيل أن المراد الجنس، و كان التوحيد أدل دليل على تناول كل فرد، فكان التعبير به أهول[4]، و كان السياق دالا على من الضمير له قال: ﴿جآءنا﴾ أى العاشى، و من قرأ[5] بالتثنية أراد العاشى و القرين ﴿قال﴾ أى العاشى تندما و تحسرا لا انتفاع له به لفوات محله و هو دار العمل: ﴿يٰليت بينى و بينك﴾ أيها القرين ﴿بعد المشرقين﴾ أى ما بين المشرق و المغرب على التغليب - قاله ابن جرير[6] و غيره، أو[7] مشرق الشتاء و الصيف أى[8] بعد أحدهما عن الآخر؛ ثم سبب عن هذا التمنى قوله جامعا له أنواع المذام[9]: ﴿فبئس القرين ه﴾ أى إنى[10] علمت أنك الذى أضلنى و أوصلنى إلى هذا[11] العيش الضنك و المحل الدحض و أحسست فى هذا[12] الوقت بذلك الذى كنت تؤذينى به [أنه أذى -[13]]

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: قريب (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ: على هذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مدا (٤) ليس فى ظ و مد.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مول (٦) راجع جامع البيان ٢٥/٤٠ (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: اى (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: او (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: الذم (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: ان.
(١١) زيد فى الاصل: العشرو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (١٣) زيد من مد.

بالغ

بالغ، فكنت كالذى يحك جسمه لما به من قروح متأكله حتى يخرج منه الدم فهو [فى أوله - [١]] يجد له لذة [٢]بما هو مؤلم له فى نفسه غاية الإيلام[٢] . و لما كان [٣]الإيلام قد يؤذى الجسد، وكان[٣] التقدير حتما بما هدى[٤] إليه السياق فيقال لهم : فلن[٥] ينفعكم ذلك اليوم يوم جئتمونا إذ تمنيتم هذا التمنى حين عاينتم تلك الأهوال اشتراككم اليوم [فى يوم الدنيا فى الظلم و تمالؤكم عليه و منافرة بعضكم لبعض، عطف عليه قوله -[٦]]: ﴿ و لن ينفعكم اليوم[٧] ﴾ أى[٨] فى الدنيا[٩] شيئا من نفع أصلا ﴿ اذ ﴾ حين ﴿ ظلمتم ﴾ حال كونكم مشتركين[١٠] فى الظلم متعاونين[١١] عليه متناصرين فه، وكل واحد منكم يقول لصاحبه سرورا به و تقربا إليه و توددا : يا ليت أنا لانفترق[١٢] أبدا فنعم[١٣] القرين أنت، فيقال لهم توبيخا : ﴿ انكم فى العذاب ﴾ أى [١٤]العظيم[١٤]، و قدمه اهتماما بالزجر به و التخويف منه[١٥] ﴿ مشتركون ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى مد : بما هو نفسه مؤلم غاية الألم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل : يهدى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لن (٦) زيد من مد، و وقع قبله فى الأصل و ظ : تجازون، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) ليس فى الأصل و ظ .
(٨) من مد، و فى الأصل و ظ : ما كنتم عليه (٩) زيد فى الأصل و ظ : و لا ينالكم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ : مشركون (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : متعارفين (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لا لقترن (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل : فبئس .
(١٤) زيد فى الأصل : العذاب، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(١٥) زيد فى الأصل : قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

أى[1] اشتراككم فيه دائما ظلمكم[2] أنفسكم ظلما باطنا بأمور أخفاها الطبع[3] على القلوب [4] و هو الموجب[4] للارتباك فى أشراك[5] المعاصى الموصلة إلى العذاب الظاهر يوم التمنى و يوم القيامة عذابا ظاهرا محسوسا، و ذلك كمن يجرح جراحة بالغة و هو مغمى عليه فهو / معذب بها قطعا، / ٦٩٦ و لكنه لايحس إلا إذا أفاق [فهو -[6]] كما تقول لأناس يريدون أن يتمالؤا على قتل نفس محرمة : لن ينفعكم اليوم إذ تتعاونون على قتله[7] اشتراككم غدا فى الهلاك بالسجن الضيق و الضرب المتلف و ضرب الأعناق، مرادك بذلك زجرهم عن[8] ظلمهم بتذكيرهم بأنهم يصلون إلى هذا الحال و يزول ما هم فيه من المناصرة[9] فلا ينفعهم شىء منها - و الله الموفق، فالآية من[10] الاحتباك، و به زال عنها ما كان من إعراب المعربين لها موجبا للارتباك "فياليت" - إلى آخره، دال على تقدير ضده ثانيا "و لن ينفعكم" - إلى آخره، دال على تقدير مثله أولا.

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الإرادة لإقبالهم يكاد يقتل نفسه أسفا على إدبارهم، و كان هذا الزجر الذى لايسمعه من له أدنى

---

(١) وقع فى الأصل بعد « فى العذاب » و الترتيب من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : ظلمتم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ما طبع (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد، و فى ظ : الموجب (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : اشراط (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : على (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : الناصر (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ : فى.

عقل إلا خلع قلبه فرجع[1] عن غيه و راجع رشده قد تلى عليهم فلم ينتفعوا به، فكان كأنه قيل: إن هؤلاء لصم[2] عمى محيط بهم الضلال إحاطة [3]لا يكادون ينفكون عنه[3] من كل جانب، فلا وصول لأحد إلى إسماعهم و لا تبصيرهم و لا هدايتهم. قال بانيا عليه مسببا عنه تخفيفا على النبي صلى الله عليه و سلم فيما يقاسي من الكرب في المبالغة في إبلاغهم حرصا على إقبالهم و الغم من إعراضهم بهمزة الإنكار الدالة[4] على نفي ما سيقت له[5]: ﴿ افانت ﴾ أي وحـــدك من غير إرادة الله تعالى ﴿تسمع الصم﴾ و قد أصممناهم بما صببنا في مسامع أفهامهم من رصاص الشقاء ﴿او تهدى العمى﴾ الذين أعميناهم بما غشينا به أبصار بصائرهم من أغشية البلادة و الخسارة، فصار ما اختاروه لأنفسهم من العشى عمى مقرونا بصممهم ﴿و من كان﴾ أي[6] جبلة و طبعا[6] ﴿في ضلل مبين ٥﴾ أي بين [في ـ[7]] نفسه أنه ضال و أنه محيط بالضلال مظهر لكل أحد ذلك، فهو بحيث لا يخفى على أحد، فالمعنى: ليس [شيء من ـ[7]] ذلك إليك، بل هو إلى الله القادر على كل شيء، [و أما ـ[7]] أنت فليس عليك إلا البلاغ[8].

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ: و رجع (٢) زيد في الأصل: بكم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: الدال (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: في جبلته (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد في الأصل: فقط، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها

و لما كان هذا كالمؤيس منهم، و كان اليأس من صلاح الخصم موجبا لتمنى الراحة منه بموت أحدهما، سبب عن التقديرين قوله مبينا أن الإملاء [1] لهم ليس [1] لعجز عنهم و لا لإخلاف فى الوعد، مؤكدا بالنون و "ما" ثم "انا" و الاسمية لمن يظن خلاف ذلك [1] و لأنه صلى الله عليه و سلم مشرف عنده سبحانه و تعالى معظم [2] لديه فذهابه به مما يستبعد، و من حقه أن ينكر، و كذا إراءته ما توعدهم به [لأن -[3]] المظنون [4] إكرامهم لأجله: ﴿فاما نذهبن بك﴾ أى من بين [أظهرهم -[3]] بموت أو غيره ﴿فانا منهم﴾ [أى -[3]] الذين [5] تقدم التعريض بأنهم عمى [6] عمى ضلال لأنهم لن تنفعهم مشاعرهم ﴿ منتقمون ۙ﴾ أى بعد فراقك لأن وجودك بين أظهرهم هو [7] سبب تأخير العذاب عنهم [8] ﴿ او نرينك ﴾ و أنت بينهم ﴿ الذى وعدنهم ﴾ أى من العذاب. و عبر فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه و [9] على الشر بأسلوبه / فيعم ﴿ فانا ﴾ بما تعلم من عظمتنا /٦٩٧ التى أنت أعلم الخلق بها ﴿ عليهم مقتدرون ﴾ [10] على كلا التقديرين، و أكد بـ « ان » لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته، و كذا بالإتيان

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: معظما (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: المعلنون (٥) من مد، و فى الاصل و ظ: الذى (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: صمى. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٨) زيد فى الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من مد، و فى الأصل و ظ « او » (١٠) زيد فى الاصل و ظ « اى »، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

بنون

بنون العظمة و صيغة الافتعال. و أحد هذين التقديرين سبق العلم الأزلى بأنه لا يكون، فالآية من أدلة القدرة على المحال لغيره و هى كثيرة جدا، و قد أكرم الله نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم عن أن يريه[1] شيئا يكرهه [2]فى أمته حتى قبض[2].

و لما أوقف سبحانه السامع بهاتين[3] الشرطيتين بين الخوف و الرجاء لبيان الاستبداد بعلم الغيب تغليبا للخوف، و أفهم السياق و إن كان شرطا أن الانتقام منهم أمر لابد منه، و أنه لاقدرة لأحد على ضرهم و لانفعهم إلا الله، سبب عنه قوله: ﴿فاستمسك﴾ أى اطلب و أوجد بجد[4] عظيم على كل حال الإمساك ﴿ بالذىٓ اوحى اليك ج ﴾ من حين نبوتك[5] و إلى الآن فى الانتقام منهم و فى غيره.

و لما كان المقام لكثرة المخالف محتاجا إلى تأكيد[6] يطيب خواطر الأتباع و يحملهم على حسن الاتباع، علل ذلك بقوله: ﴿انك على صراط﴾ أى طريق واسع واضح جدا: ﴿ مستقيم ه ﴾ موصل إلى المقصود لايصح أصلا أن يلحقه شىء من عوج، فاذا فعلت ذلك لم يضرك شىء من نقمتهم[7].

و لما أثبت حسنه فى نفسه المقتضى للزومه[8]، عطف [عليه -[9]] نفعه

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: يريد به (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بهابين (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بحط (٥) من مد، و فى الأصل: لوتيه، و فى ظ: نبوته (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تاكيده (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تصميمهم.
(٨) من مد، و فى الأصل و ظ: للروحه (٩) زيد من مد.

لهم. و أكد لإنكارهم فقال: ﴿ و انه ﴾ أى الذى أوحى[1] إليك فى الدين و الدنيا ﴿ لذكر ﴾ أى شرف عظيم جدا و موعظة و بيان، عبر عن الشرف بالذكر للتنبيه على أن سببه الإقبال على الذكر و على ما بينه و شرعه و الاستمساك به و الاعتناء بشأنه: ﴿ لك و لقومك ج ﴾ [2]قريش خصوصا و العرب عموما و سائر من اتبعك و لو كان من غيرهم من جهة نزوله على واحد منهم و بلسانهم، فكان سائر الناس تبعا [لهم-[3]] و من جهة إرائه[4] الطريقة الحسنى و العلوم الزاكية الواسعة و تأثيره الظهور على جميع الطوائف و الإمامة لقريش بالخصوص كما قال صلى الله عليه و سلم «لايزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان ما أقاموا الدين» فمن أقام هذا الدين كان شريفا مذكورا فى ملكوت السماوات و الأرض، قال ابن الجوزى: و قد روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا سئل: لمن هذا الأمر، [5]من بعدك، لم يخبر بشىء حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: لقريش - و هذا يدل على أن النبى صلى الله عليه و سلم فهم من هذا أنه يلى على المسلمين بحكم[6] النبوة و شرف القرآن، و أن قومه يخلفونه من بعده فى الولاية بشرف القرآن الذى أنزل على رجل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اوحينا (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: اراته (٥) زيد فى الأصل و ظ: قال لقريش، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: حكم.

منهم - انتهى .

و لما كان التقدير: فسوف نشرفون على سائر الملوك و تعلون[1]، عطف عليه قوله: ﴿ و سوف تسئلون ﴾ أى تصيرون فى سائر أنواع العلم محط رحال / السائلين دينا و دنيا بحيث يسألكم جميع أهل الأرض / ٦٩٨ من أهل الكتاب و من غيرهم عما يهمهم[2] من أمر دينهم و دنياهم لما يعتقدون من أنه لا يوازيكم أحد فى العلم بعد أن كنتم عندهم أحقر الأمم ضعفا و جهلا كما وقع لبنى إسراءيل حيث رفعهم الله، و كان ذلك أبعد الأشياء عند فرعون و آله، و لذلك كانوا يتضاحكون استهزاء بتلك [الآيات -[3]] و ينسبون الآتى بها إلى ما لا يليق بمنصبه العالى من المحالات، و تسئلون عن حقه و أداء شكره. و كيف كنتم فى العمل به و الاستجابة له، و هذا بوعد صادق لا خلف فيه أصلا .

و لما أبطل سبحانه إلهية غيره التى أدى إليها الجهل، و استمر إلى أن ختم بالعلم الموجب لمعرفة الحق، فكان التقدير [4]إبطالا لشبهتهم[4] الوهمية القائلة "لو شاء الرحمن ما عبدنهم": فاستحضر جميع ما أوحى إليك و تأمله غاية التأمل، هل ترى فيه خفاء فى الإلهية لشىء دون الله، عطف عليه قوله نفيا لدليل سمعى كما أشير إليـــه بقوله "ام اتينهم كتبا" ﴿ و سئل من ارسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة . و لما كان الممكن تعرفه من آثار الرسل إنما هو لموسى و عيسى و من بينهما من أنبياء بنى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تعلون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يعمهم (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: ابطال شبهتهم .

إسراءيل عليهم الصلاة و السلام الحافظ لسنتهم من التوراة و الإنجيل و الزبور و سفر الأنبياء، قال مثبتا للجار المفهم لبعض الزمان: ﴿من قبلك﴾.

و لما كان أتباعهم قد [1]غيروا و بدلوا[1] فلم تكن بهم ثقة، عبر بالرسل فقال: ﴿من رسلنآ﴾ أي بقراءة أتباعهم لكتبهم[2] التي حرفوا بعضها، و جعلت كتابك مهيمنا عليها[3] فانهم إذا قرأوها بين يديك و عرضوها عليك علمت معانيها و فضحت تحريفهم و بينت اتفاق الكتب كلها برد ما ألبس عليهم من متشابهها[4] إلى محكمها. فالمراد من هذا نحو المراد من آية يونس "فاسئل الذين يقرؤن الكتب من قبلك" و من آية الأنبياء "هذا ذكر من معى و ذكر من قبلى" مع زيادة الإشارة إلى تحريفهم. فالمسئول فى الحقيقة القرآن المعجز على لسان الرسول الذى شهدت له جميع الرسل الذين أخذ عليهم العهد بالإيمان به و المتابعة له. و بهذا التقرير[5] ظهر ضعف قول من قال: إن المراد سؤال الرسل حقيقة لما جمعوا له صلى الله عليه و سلم فى بيت المقدس ليلة الإسراء. فانه ليس المراد من هذا إلا تبكيت الكفار من العرب و ممن عزم من اهل الكتاب بقولهم[6]: دينكم خير من دينه و انتم أهدى سبيلا منه. فانهم

(١-١) فى ظ و مد: بدلوا و غيروا (٢) من مد، و فى الاصل و ظ: كتبهم.
(٣) من ظ و مد، و فى الاصل: عليهم (٤) من ظ و مد، و فى الاصل: متشابهاتها (٥) من مد، و فى الاصل و ظ: التقدير (٦) من مد. و فى الأصل و ظ: بقولكم.

إذا أحضروا كتبهم علمت دلالتها القطعية على اختصاصه سبحانه بالعبادة كما بينته فى كتابى [هذا - [1]] برد المتشابه[2] منها إلى المحكم، و جعلها ابن جرير[3] مثل قوله تعالى "فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الأخر" و قال: و معلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله و[4] سنة رسوله[5] صلى الله عليه و سلم، قال: فاستغنى بذكر الرسل عن ذكر الكتب. و هو عين / ما قلته، و لو كان المراد / ٦٩٩ حقيقه السؤال و سؤال جميع الرسل لقال "قبلك" باسقاط "من" ليستغرق الكل - و الله أعلم.

و لما ذكر المسؤول مفخما له بما اقتضته العبارة من الإرسال و الإضافة إليه، ذكر المسؤول عنه بقوله تعالى: ﴿ اجعلنا ﴾ أى أبحنا و[6] أمرنا و[6] رضينا على ما لنا من العظمة [7]و القدرة التامة[7]. بما ينافى ذلك، و قرر حقارة ما سواه بقوله: ﴿ من دون ﴾ و زاد بقوله: ﴿ الرحمن ﴾ أى الذى رحمته عمت[8] جميع الموجودات ﴿ ءالهة ﴾ و لما كان قد جعل لكل قوم وجهة يتوجهون فى عبادتهم إليها، و شيئا محسوسا بغلبة الأوهام على الأفهام يشهدونه[9] و كان ربما تعنت به متعنت، قال محترزا: ﴿ يعبدون ٤٥ ﴾ [أى - [10]] من عابد ما بوجه ما[11].

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المابة (٣) راجع جامع البيان ٢٥ / ٤٢ (٤) زيد فى الأصل: اعرضوه على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و جامع البيان لحذفناها (٥) من ظ و مد و الجامع، و فى الأصل: رسول الله (٦) من ظ و مد، و فى الأصل «او» (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) سقط من مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ايشهدونه (١٠) زيد من مد (١١) من ظ و مد، و فى الاصل: من الوجوه.

و لما كان المترفون مولعين[1] بأن يزدروا من جاءهم بالرد عن أغراضهم الفاسدة بنوع من الازدراء كما قال كفار قريش "لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" و لا يزالون يردون هذا و أمثاله من الضلال حتى يقهرهم ذو الجلال بما أتتهم[2] به رسله[3] إما باهلاكهم أو غيره و إن كانوا فى غاية القوة. أورد سبحانه قصة موسى عليه الصلاة و السلام شاهدة على ذلك بما قال فرعون لموسى عليه الصلاة و السلام من نحو ذلك و من إهلاكه على قوته و إنجاء[4] بنى إسراءيل على ضعفهم، و تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم و ترجية.

و لما كان التقدير: فلقد أرسلنا جميع رسلنا و هم أشرف الخلق بالتوحيد الذى جئت به، و ما كنا فى إرسالنا إياهم مراعين لما يريده الأمم من جاه أو مال أو غير ذلك. فلا وجه للاتكال عليك فيما أرسلناك به من التوحيد و غيره. و لا لمعاداتك فيه. عطف عليه أول من أرشد[5] إلى سؤال[6] أتباعهم فقال مؤكدا لأجل ما يعاندون به من إنكار الرسالة، و أتى بحرف التوقع لما اقتضاه من الأمر بسؤال الرسل عليهم الصلاة و السلام: ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى بما ظهر من عظمتنا.

و لما كان الإرسال منه سبحانه ليس على حسب العظمة فى الدنيا

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مولعون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لم تتهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: رسلهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انجينا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ارسل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: رسول.

بما يراه أهلها كما قال هؤلاء "لولا نزل هذا القرآن" - الآية . قال مناقضا لهم : ﴿ موسى ﴾ أى الذى كان فرعون يرى أنه أحق الناس بتعظيمه لأنه رباه و كفله ﴿ بآيتنا ﴾ أى التى[1] قهر بها عظماء الخلق و جبابرتهم ، فدل ذلك على صحة دعواه و على جميع الآيات لتساويها في[2] القدرة و خرق العادة . و لما كان السياق لسؤال النبى صلى الله عليه و سلم الرسل عن أمر التوحيد ، كانت الآيات كافية ، فلم يذكر السلطان لأنه للقهر و الغلبة : ﴿ الى فرعون ﴾ أى [3]لأنه طغى و بغى[3] و ادعى أنه هو[4] الرب الأعلى [3]و وافقه الضالون[3] : ﴿ وملائه ﴾ الذين جعلهم / آلهة دونه و عبدهم[5] قومهم فلم يقرهم على ذلك لأنا ما رضيناه ﴿ فقال ﴾ / ٧٠٠ بسبب إرسالنا ﴿ اني رسول ﴾ و أكد لأجل إنكارهم ما أنكره قومك من[6] الرسالة . و لما كان الإحسان سببا للاذعان قال : ﴿ رب العلمين ه ﴾ أى مالكهم [7]و مربيهم و مدبرهم[7] .

و لما كانوا قد فعلوا من الرد لرسالته صلى الله عليه و سلم و الاستهزاء بها ما فعلته قريش ، قال مسليا للنبى صلى الله عليه و سلم و مهددا لهم تسبيبا عما تقديره : فقالوا له ائت بآية ، فأتى بها[2] على ما تقدم غير مرة بما هو كالشمس بيانا و حسنا : ﴿ فلما جاءهم بآيتنا ﴾ بالإتيان بآيتى

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الذى (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : من (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : عهدهم (٦) من مد ، و في الاصل و ظ : في (٧-٧) في مد : مدبرهم و مربيهم .

اليد[1] و العصى اللتين شهدوا فيهما عظمتنا[2] و دلتاهم على[3] قدرتنا على جميع الآيات ﴿ اذا هم ﴾ أى بأجمعهم [4]استهزاء برسولنا، و طال ما يضحك عليهم هو و من آمن برسالته و بما جاء به عنا يوم الحسرة و الندامة[4] ﴿ منها[5] يضحكون ﴾ أى فاجأوا المجيء بها من غير توقف [و لا كسل -[6]] بالضحك سخرية و استهزاء .

و لما كان ربما ظن ظان أن فى الآيات ما يقبل شيئا من ذلك، بين حالها[7] سبحانه بقوله: ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ نريهم ﴾ على ما لنا من الجلال و العلو و الكمال، [و -[8]] أعرق فى النفى باثبات الجار و أداة الحصر لأجل من قد يتوهم أنهم معذورون فى ضحكهم فقال: ﴿ من اية الا هى اكبر ﴾ أى فى الرتبة ﴿ من اختها ز ﴾ أى [التى -[6]] تقدمت عليها بالنسبة إلى علم الناظرين لها لأن الآدمى لما له من النسيان إذا أتاه الثانى من المتساويين رأى جميع [9]من أتاه[9] ناسيا و لا بعض[10] [9]من أتى[9] الأول فيقطع[11] بأنه أكبر منه، أو أن هذا كناية عن أنها كلها فى نهاية العظمة كما قال شاعرهم: « من تلق منهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اليدى (٢) زيد فى الأصل: و قدرتنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: عظمتنا و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٥) ليس فى الأصل فقط (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: حاله (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد، و فى الأصل و ظ: مزاياه (١٠) فى مد: لابد بعض (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: فيقم.

تقل لاقيت سيدهم، أو[1] أن بينها[2] فى الكبر عموما و خصوصا من وجه، و أحسن من ذلك ما اشار إليه ابن جرير[3] من أن كل آية أوضح فى الحجة عليهم و أوكد مما قبلها، لأنها دلت على ما دلت عليه و زادت[4] ما أفادته المعاضدة [5]من الضخامة فصارت[5] هى مع ما قبلها أكبر مما قبلها عند ورودها و إقامة الحجة بها.

و لما كان التقدير: فاستمروا على كفرهم و لم يرجعوا لشيء من الآيات لأنا أصممناهم و أعميناهم و أحطنا بهم الضلال [6]لعلمنا بحالهم[6]، عطف عليه قوله: ﴿ و اخذنهم ﴾ أى أخذ قهر و غلبة ﴿ بالعذاب ﴾ أى كله لأنا والينا عليهم ضرباته على وجه معلم بأنا قادرون على ما نريد منه فأرسلنا عليهم [الطوفان و -[7]] الجراد و القمل و الضفادع والدم[6] "ايت مفصلت[6]" و القطع: البرد الكبار الذى لم يعهد مثله ملتهبا بالنار، و موت الأبكار، فكانت آيات على صدق موسى عليه الصلاة و السلام بما لها من الإعجاز، و عذابا لهم فى الدنيا موصولا بعذاب الآخرة، فيا لها من قدرة باهرة و حكمة ظاهرة ﴿ لعلهم يرجعون ۝ ﴾ أى ليكون حالهم عند ناظرهم الجاهل بالعواقب حال من يرجى رجوعه.

و لما كان فرعون فى كثير من الضربات التى كان يضربه بها

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: «و» (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يليها (٣) راجع جامع البيان ٢٥/الآية المتعلقة (٤) زيد فى الأصل و ظ: على، ولم تكن الزيادة فى مد ولا فى الجامع فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد من مد.

٧٠١ / سبحانه - كما مضى فى الأعراف عن التوراة - / يقول لموسى عليه الصلاة و السلام : قد أخطأت و الرب بار و أنا و شعبى فجار، فصلينا بين يدى الرب فانه ذو إمهال و أناة. فيصرف عنى كذا، فاذا صرف الله ذلك عنهم عاد على ما كان عليه من الفجور، كان فعله ذلك فعل من لايعتقد أنه موسى عليه الصلاة و السلام نبى حقيقة. بل يعتقد أنه ساحر، و أن أفعاله إنما هى خيال. فكذلك عبر عن هذا المعنى بقوله عطفا على (١ ما تقديره ١) : فلم يرجعوا : ﴿ و قالوا ﴾ أى فرعون بالمباشرة و أتباعه بالموافقة له : ﴿ يآيها السحر ﴾ فنادوه بأداة البعد مع الافهام بقالوا دون " نادوا " أنه حاضر إشارة إلى بعده من قلوبهم، و التعبير بهذا توبيخ لقريش بالإشارة إلى أنهم و غيرهم ممن مضى يرمون الرسول بالسحر و يقرون برسالته عند الحاجة إلى دعائه فى كشف ما عذبهم ربهم به، و ذلك قادح فيما يدعون من الثبات و الشجاعة و العقل و الإنصاف و الشهامة، و ذلك كما وقع لقريش لما قال النبى صلى الله عليه و سلم « اللهم عنى عليهم بسنين كسنى يوسف » فقحطوا، فلما اشتد عليهم البلاء أتى أبو سفيان بن حرب إلى النبى صلى الله عليه و سلم بالمدينة الشريفة فقال : يا محمد ! إنك قد جئت بصلة الأرحام و إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، فدعا لهم فأغيثوا، فلا شك أن ترجمة(٢) حالهم هذا الذى ذكره الله من التناقض الذى لا يرضاه لنفسه عاقل، و هو وصفه بالسحر

(١-١) من مد، و فى الأصل و ظ : تقدير (٢) زيد فى الأصل و ظ : لهم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

و طلب الدعاء منه يمنع اعتقاد أنه ساحر، و اعتقاد أنه ساحر يمنع طلب الدعاء منه عند العاقل ﴿ ادع لنا ربك ﴾؛ أى المحسن إليك بما يفعل معك من هذه الأفعال[1] التى نهيتنا بها إكراما لك ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ عهد عندك ج ﴾ من أنه يفعل من وضعها و رفعها على ما تريد[2] على ما أخبرتنا أنه إن آمنا[3] أكرمنا، و إن تمادينا أهاننا، ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدا تقريبا لحالهم البعيدة من الاعتداء بما يخبر به شاهد الوجود: ﴿ اننا لمهتدون ۝ ﴾ أى اهتداء ثابتا يصير لنا وصفا لازما عند كشف ذلك عنا.

و لما كان العاقل لا يخبر عن نفسه إلا بما هو صحيح، فكيف إذا كان عظيما بين قومه فكيف إذا أكد ذلك بأنواع من التأكيد، فكان السامع لهذا الكلام يقطع بصدقه، بين تعالى ما يصحح أن حالهم حال من يعتقد أنه ساحر بأنهم أسرعوا الخيانة بالكذب فيه من غير استحياء و لا خوف، فقال معبرا بالفاء دلالة على ذلك: ﴿ فلما كشفنا ﴾ على ما لنا من العظمة التى ترهب الجبال ﴿ عنهم العذاب ﴾ [أى - [4]] الذى أنزلناه بهم ﴿ اذا هم ينكثون ۝ ﴾ أى فاجأوا الكشف بتجديد النكث بالخلاف بعد إخلاف ﴿ و نادى فرعون ﴾ أى زيادة على نكثه ﴿ فى قومه ﴾ أى الذين لهم غاية القيام معه، و أمر كلا منهم أن يشيع قوله إشاعة تعم البعيد كما تشمل[5] القريب فتكون كأنها مناداة إعلاما

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا سال (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يريد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: انا (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: شمل.

٧٠٢/ بأنه مستمر على الكفر لئلا يظن بعضهم أنه رجع . و لما كان / كأنه قيل : [1]لم نادى[1] ؟ أجاب بقوله : ﴿ قال ﴾ أى خوفا من إيمان القبط لما رأى من [أن -[2]] ما شاهدوا من باهر الآيات[3] مثله يزلزل و يأخذ بالقلوب : ﴿ يٰقوم ﴾ [4]مستعطفا لهم باعلامهم بأنهم لحمة[5] واحدة ، و مستنهضا بوصفهم بأنهم ذوو[6] قوة على مايحاولونه ، مقررا لهم على عذره فى نكثه[7] بقوله : ﴿ اليس لى ﴾ أى وحدى[8] ﴿ ملك مصر ﴾ أى كله ، فلا اعتراض على بنى إسراءيل و لا غيرهم ، لينتج له[9] ذلك على زعمه أن غلبته على بنى إسراءيل و مقاهرته على إخراجهم[10] من تحت يده بغى على من له الملك فتكون فسادا فلا بأس عليه إذا خدع من فعل به ذلك بما عاهده عليه عند مس الضر ، و لم يقرأ بالصرف ليكون نصا على مراده من العلمية ، و لأن المصر يطلق على المدينة الواحدة ، و التنوين يأتى للتحقير و هو ضد مراده .

و لما كان قد حصل له مما رأى من الآيات و ورد عليه من تلك الضربات بأنواع المثلات ما أدهشه[11] بحيث صار فى عداد من

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم مادا (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : مما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لحة (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذو (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : نلمه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : وحده (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : اخترجهم (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهشه .

يشك

يشك أتباعه فى ملكه، دل عليه بما بناه من الحال: ﴿ وهذه ﴾ أى و الحال أن هذه ﴿ الانهر ﴾ و كأنه كان قد أكثر من تشقيق الخلجان إلى بساتينه [و قصوره، و نحو ذلك من أموره فقال -[١]] : ﴿تجرى من تحتى ج﴾ [٢]أى من أى موضع أردته بما لايقدر عليه غيرى، و زاد فى التقرير[٢] بقوله: ﴿افلا تبصرون ۵﴾ [٣] أى الذى ذكرته لكم فتعلموا ببصائر قلوبكم أنه لاينبغى لأحد أن ينازعنى، و هذا لعمرى قول من ضعفت قواه و انحلت عراه .

و لما أرشد السياق إلى أن التقدير: أفهذا الذى جاء يسلبنا عبيدنا بنى إسراءيل خير [٤]عندكم منى[٤]؟ نسق عليه قوله: ﴿ ام انا خير ﴾ مع ما وصفت لكم من ضخامتى و ما لى من القدرة على إجراء المياه التى بها حياة كل شيء، و نقل ابن الجوزى و غيره من المفسرين عن سيبويه و أستاذه الخليل أنها[٥] معادلة لتقريرهم بالإبصار، فكأنه قال[٦]: أفلا تبصرون ما ذكرتكم به فترون لعدم إبصاركم أنه خير منى ام أنا خير منه لأنكم لاتبصرون، و كان هو أحق بهذه النصيحة منهم فانه أراهم الطريق الواضحة إلى الضلال الموصلة إليه من غير مشقة و لاتعب بقوله: أفلا تبصرون[٧] [أم أنتم بصراء، فيكون ذلك احتباكا تقديره: أفلا تبصرون -[١]] ما

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط قبل « تجرى من تحتى » (٣) زيد فى الأصل: « وغفل هو عن غير القدرة و غره ابليس وغشا على قلبه و بصره و ختم على سمعه و بصره و جعل على قلبه غشاوة، فمن يهديه إلى أخ و أما قوله «أفلا تبصرون» ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) فى مد: منى عندكم (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: ابها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: قاله (٧) العبارة من هنا فى مد و من « وكان هو أحق » فى ظ ساقطة إلى « ولا تعب بقوله » .

نبهتكم عليه، فذكر الإبصار[1] أولا دليلا على حذف مثلها ثانيا و الخيرية ثانيا دليلا على خذف مثلها أولا ، و حقر من عظمة الآتى له بتلك الآيات صلى الله عليه و سلم لئلا يسرع الناس إلى اتباعه لأن آياته ـ لكونها من عند الله ـ كالشمس بهجة و علوا و شهرة فقال: ﴿من هذا﴾ فكنى باشارة القريب عن تحقيره، ثم وصفه بما يبين[2] مراده فقال: ﴿ الذى هو مهين ﴾ أى ضعيف حقير قليل ذليل، لأنه يتعاطى أموره بنفسه، و ليس له ملك و لاقوة يجرى [بها -[3]] نهرا و لاينفذ بها أمرا ﴿ و لايكاد يبين ﴾ أى لايقرب من أن يعرب[4] عن معنى من المعانى لما فى لسانه من الحبسة[5] فلا هو قادر فى نفسه و لا له قوة بلسانه على تصريف المعانى و تنويع البيان يستجلب[6] القلوب و يدهش الألباب فيكثر أتباعه و يضخم أمره، و قد كذب فى جميع قوله، فقد كان موسى عليه الصلاة و السلام أبلغ أهل زمانه قولا و فعلا بتقدير الله الذى أرسله [له -[3]] و أمره إياه و لكن الخبيث أسند[7] هذا إلى ما بقى فى لسانه من الحبسة[5] تخييلا لأتباعه لأن موسى عليه الصلاة و السلام ما دعا بازالة جميع حبسته[8] بل بعقدة منها .

و لما كان عند فرعون و عند من كان مثله مطموس البصيرة فاقد

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الابصل (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بين (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقرب (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الحلسة (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليستخلب . (٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حلسته .

[1]الفهم وقوفا مع الوهم[1] أن القرب من الملوك و الغلبة على الأمور لا تكون إلا بكثرة الأعراض الدنيوية ، و التحلى بحلى[2] الملوك ، سبب عن ادعائه لرسالته عن ملك الملوك اللازمة للقرب منه قوله : ﴿ فلولآ ﴾ و لما كانت الكرامات و الحبى[3] و الخلع تلقى على المكرم بها إلقاء ، عبر به فقال : ﴿ القى ﴾ أى من أىّ ملق كان ﴿ عليه ﴾ من عند مرسله الذى يدعى أنه الملك[4] بالحقيقة ﴿ اسورة ﴾ جمع أسورة - قاله الزجاج ، و صرف لصيرورته على وزن المفرد نحو علانية و كراهية ، و السوار : ما يوضع فى المعصم من الحلية ﴿ من ذهب ﴾ ليكون ذلك أمارة على صدق صحة دعواه كما نفعل نحن عند إنعامنا على أحد من عبيدنا بالإرسال إلى ناحية من النواحى لمهم من المهمات ﴿ او جآء معه ﴾ أى صحبته [5]عند ما[5] أتى إلينا بهذا النبأ الجسيم و الملم العظيم ﴿ الملئكة ﴾ أى هذا النوع ، و أشار إلى كثرتهم بما بين[6] من الحال بقوله : ﴿ مقترنين ۝ ﴾ أى يقارن بعضهم بعضا بحيث يملأون الفضاء[7] و يكونون[8] فى غاية القرب منه بحيث يكون مقارنا لهم ليجاب[9] إلى هذا الأمر الذى جاء يطلبه كما نفعل نحن

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : العريم و قد قامع الفهم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الحلى (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ملك (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عندنا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبين (٧) زيد فى الأصل : غفل بل عمى انهم معه معنى و حسا باطنيا لا ظاهريا و لو تنبه رأى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليجتاب .

إذا أرسلنا رسولا إلى أمر يحتاج إلى دفاع و خصام و نزاع، فكان حاصل أمره كما ترى أنه تعزز[1] بإجراء المياه، فأهلكه الله بها إيماء إلى أن من تعزز[2] بشيء دون الله أهلكه الله به، و استصغر موسى عليه الصلاة و السلام و[3] عابه بالفقر[3] و الغي فسلطه عليه إشارة إلى أنه ما استصغر أحد شيئا إلا غلبه - أفاده القشيري.

و لما كان كلامه هذا واضحا له عند من تأمل لا رافعا[4]، و كان قد مشى[5] على أتباعه لأنهم مع المظنة دون المنة، فهم أذل شيء لمن ثبتت له رئاسته دنيوية و إن صار ترابا، و أعصى شيء على من لم تفقه[6] له الناس و إن فعل الأفاعيل العظام، تشوف السامع / إلى ما يتأثر عنه ٧٠٤/ فقال: ﴿ فاستخف ﴾ أي بسبب هذه الخدع[7] التي سحرهم بها في هذا الكلام الذي هو في الحقيقة محقر له موهن لأمره قاصم لملكه عند من له لب ﴿ قومه ﴾ الذين لهم قوة عظيمة، فحملهم بغروره على ما كانوا مهيئين له في خفة الحلم ﴿ فاطاعوه ط ﴾ بأن أقروا بملكه و أدعنوا لضخامته و اعترفوا بربوبيته و ردوا أمر موسى عليه الصلاة و السلام.

و لما كان كلامه كما مضى أعظم موهن لأمره و هو منقوض

(١) من مد، و في الأصل و ظ: يغر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: تغرر (٣-٣) من مد، و في الأصل و ظ: لما به بالفقر الحسي، « والحسي » ساقطة من ظ (٤) من مد، و في الأصل و ظ: رابعا (٥) من ظ و مد، و في الأصل: ثني (٦) من مد، و في الأصل و ظ: لم يعد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: الخداع.

على

على تقدير متانته بأن موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم أتى بما يغنى عما قاله من الأساورة و ظهور الملائكة بأنه مهما هددهم فعله و مهما طلبوه منه أجابهم إليه، فلم يكن للقبط داع إلى طاعة فرعون بعد ما رأوا من الآيات إلا المشاكلة فى خباثة الأرواح، علل ذلك سبحانه بقوله مؤكدا لما يناسب أحوالهم فيرتضى أفعالهم و هم الأكثر[١]: ﴿انهم كانوا﴾ أى بما فى جبلاتهم من الشر[٢] و النفاق لأنهم كانوا ﴿ قوما ﴾ أى عندهم[٣] قوة شكائم توجب لهم الشماخة إلا عند من يقهرهم بما يألفون من أسباب الدنيا[٤] ﴿ فسقين ه ﴾ أى عريقين فى الخروج عن طاعة الله إلى معصية، قد صار لهم ذلك خلقا ثانيا، و كأن مدة محاولة الكليم عليه الصلاة و السلام لهم كانت قريبة، فلذلك عبر بالفاء فى قوله: ﴿ فلمآ اسفونا ﴾ أى فعلوا معنا ما يغضب إغضابا شديدا باغضاب أوليائنا كما فى الحديث القدسى[٥] «مرضت فلم تعدنى» لنكثهم[٦] مرة بعد مرة و كرة فى إثر كرة ﴿ انتقمنا منهم ﴾ أى أوقعنا بهم على وجه المكافأة لما[٧] فعلوا [٨]برسولنا عليه السلام[٨] عقوبة عظيمة منكرة مكروهة

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اكثر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خباثة الشرك (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: غير (٤) زيد فى الأصل: و المشهور عنهم كما نسبوا إليه من الكفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل و ظ: عن الله سبحانه و تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: اياهم (٧) من و مد، و فى الأصل و ظ: بما (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مع رسول الله صلى الله عليه و سلم.

كأنها بعلاج ﴿فأغرقنٰهم﴾ [١]في اليم[١] ﴿أجمعين ۙ﴾ إهلاك نفس واحدة لم يفلت[٢] منهم أحد على كثرتهم و قوتهم و شدتهم، و هذا لا يكون [في -[٣]] العادة إلا بعد علاج كثير أو اعتناء كبير.

و لما كان إهلاكهم بسبب إغضابهم لله[٤] و بالكبر [٥]على رسله[٥]، كانوا سببا لأن يتعظ بحالهم من يأتي بعدهم فلذلك قال تعالى: ﴿فجعلنٰهم﴾ أي بأخذنا لهم على هذه الصورة من الإغراق و غيره مما تقدمه ﴿سلفا﴾ متقدما لكل من [٦]يهلك بعدهم إهلاك غضب[٦] [٧]في الهلاك[٧] في الدنيا و العذاب في الآخرة و قدوة لمن يريد العلو في الأرض فتكون عاقبته [٧]في الهلاك[٧] في الدارين أو إحداهما[٨] عاقبتهم كما قال سبحانه عز من قائل و تبارك و تعالى "وجعلنٰهم أئمة يدعون الى النار": ﴿و مثلا﴾ أي حديثا عجيبا سائرا [٩]مسير المثل[٩] ﴿للآخرين ؏﴾ الذين خلفوا بعدهم من زمنهم إلى آخر الدهر فيكون حالهم عظة لناس و إضلالا لآخرين، / فمن قضى[١٠] أن يكون على[١١] مثل حالهم عمل[١٢] مثل أعمالهم، و من أراد /٧٠٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من مد، و في الأصل و ظ: لم يغلب (٣) زيد من مد (٤) زيد في الأصل: ولرسوله عليه الصلاة والسلام، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و مد، و في الأصل: الذي قد اظهروه عليه عليه الصلاة و السلام (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: بالهلاك (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من مد، و في الأصل و ظ: احدهما (٩-٩) من مد، و في الأصل و ظ: مشيرا بالمثل (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: رضى (١١) من ظ و مد، و في الأصل: حاله (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: فليعمل.

النجاة مما نالهم تجنب أفعالهم، فمن أريد به الخير وفق لمثل خير رده عن غيه، و من أريد به الشر اقتدى بهم فى الشر، و جعل له منهم مثلا[1] يجترئ به على شره، و يقوى على خبثه و مكره، فيجعل الشرير ما أوتوه من الدنيا من النعمة و [2]الحبرة و الرفاهية[2] و النصرة مثلا له فى التوصل إليه بما كانوا عليه من الظلم، و يجعل الخير[3] إهلاكهم[4] مثلا له[5] فيبعد عن[6] أفعالهم لينجو من مثل نكالهم، يقول أحدهم: أخذ الفلانيون أخذ آل فرعون، أى لم يفلت منهم إنسان و نحو ذلك من أمثالهم فى جميع أحوالهم، و نقول نحن: إنا نهلك من ظلم[7] و تمادى فى ظلمه بعد تحذيرنا له و غشم و إن عظم آله و أتباعه، و ظن عزه و امتناعه، كدأب آل فرعون، و يقول من أريد به الشر: ليس على ظهرها أحد يبقى إن خاف العواقب فأحجم عن شهواته و انهمك فى رياض أهويته و إرادته و شهى طيباته و كذا ذاته كما وقع لفرعون فانه لم يرجع لشىء[8] عن رئاسته، و بلوغ النهاية من صلفه و نفاسته إلى، أن ذهب به كما ذهب بغيره سواء سار بسيره أو بغير سيره، ولقد ضل به قوم و أضلوا، و حلوا لمن داناهم

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الرفاهية و الحبرة (٣) زيد فى الأصل: مثلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: اهلا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فى التوصل إليه بما كانوا عليه من الظلم (٦) زيد فى الأصل: احوالهم و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الظلم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بشىء.

عرى الدين فزلوا ، و ما كفاهم ذلك حتى ادعوا أنه من أعز المقربين لأن الذى كان آخر كلامه الإيمان ، يجب ما كان قبله و لم يتدنس بعده، فمات طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الدنس مع أن ذلك ما كان إلا عند اليأس حيث لانفع فيه ، و غروا الضعفاء بأن[1] قالوا : [إنه -[2]] لاصريح فى القرآن بعذابه بعد الموت تعمية عن الدليل القطعى المنتظم من قوله ، تعالى " و ان فرعون لعال فى الارض و انه لمن المسرفين " " و ان المسرفين هم اصحٰب النار " المنتج من غير شك أن فرعون من أصحاب النار ، و قوله تعالى " فاخذنٰه و جنوده فنبذنٰهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظٰلمين " " و جعلنٰهم ائمة يدعون إلى النار و يوم القيٰمة لاينصرون " و اتبعنٰهم فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيٰمة هم من المقبوحين" و قوله تعالى " كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الاوتاد " إلى أن قال " ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب" ، إلى غير ذلك من محكم الآيات و صريح الدلالات البينات ، و كذا غير فرعون و قومه من الصالحين و الطالحين جعلهم سبحانه سلفا و مثلا للآخرين ، فمن أراد به خيرا يسر له مثل خير احتذى به ، و من أراد به شرا أضله بمثل سوء اقتدى به ، فقد جعل الله عيسى عليه الصلاة و السلام / مثلا ٧٠٦/ لتمام قدرته على اختراع الأشياء بأسباب و بغير أسباب ، و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أزهدهم و أقربهم إلى الخير و أبعدهم عن الشر[3] ، فاقتدى

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : بانهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد : شر .

به من أراد الله به الخير فى مثل ذلك فاهتدى به، و ضل به آخرون و ضربوا به لأنفسهم أمثال الآلهة، و صاروا يفرحون بما لا يرضاه عاقل و لا يراه، و ضربه قومك مثلا لآلهتهم لما أخبرنا أنهم معهم حصب جهنم و سروا[1] بذلك و طربوا[2] و ظنوا أنهم فازوا و غلبوا: ﴿ و لما ضرب ابن مريم ﴾ أى [3]ضربه ضارب منهم[3] ﴿مثلا﴾ لآلهتهم ﴿اذا قومك﴾ أى الذين أعطيناهم قدرة على القيام بما يحاولونه ﴿ منه ﴾ أى ذلك المثل ﴿ يصدون ه ﴾ أى يضجون[4] و يعلون أصواتهم سرورا بأنهم ظفروا على زعمهم بتناقض، فيعرضون[5] به عن إجابة دعائك، يقال: [صد -[6]] عنه صدودا: أعرض، و صد يصد [و يصد -[6]]: ضج[7] - قاله فى القاموس، فلذلك قال ابن الجوزى: معناهما جميعا - أى قراءة ضم الصاد و قراءة كسرها - يضجون، و يجوز أن يكون معنى المضمومة: يعرضون؛ قال ابن برجان: و الكسر أعلى القراءتين - انتهى. و ذلك أن قريشا قالوا كما مضى فى الأنبياء "انا و ما نعبد فى جهنم" مقتض أن يكون [عيسى -[8]] كذلك، و أن نستوى نحن وآلهتنا به، فانه مما عبد و نحن راضون بمساواته لنا[9] - إلى آخر ما قالوا

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: سربوا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ضربوا (٣-٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ضربة صارت (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يصيحون (٥) فى مد: فيغرضوا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: صيح (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بنا.

و ما رد عليهم سبحانه به من الآية[1] من العام الذى أريد به الخصوص كما هو مقتضى [2]كلامهم و[2]لسانهم فى أن الأصل فى «ما» لما [لا -[3]] يعقل، [و-[3]] ذلك هو المراد من قوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿و قالو آءا لهتنا﴾ التى نعبدها من الأصنام و الملائكة ﴿خير[4] ام هو[4]﴾ اى عيسى فنحن راضون [5]بأن نكون معه[5].

و لما اشتد التشوف إلى جوابهم، و كان قد تقدم الجواب عنه فى الأنبياء، قدم عليه هنا أن مرادهم بـذلك إنما هو المماحكة و المماحلة و المراوغة و المقاتلة فقال تعالى: ﴿ما ضربوه﴾ أى ما ضرب الكفار: [6]ابن الزبعرى[6] حقيقة و غيره من قومك مجازا، المثل لآلهتهم بعيسى عليه الصلاة و السلام ﴿لك الا جدلا[4]﴾ أى لإرادة أن يقتلوك عن دعوتك مغالطة و هم عالمون بأن ما ألزموك به غير لازم و لم يعتقدوا لزومه قط لأن الكلام ما كان إلا فى أصنامهم، و لأن الخصوص فى كلامهم شائع، و لأنه قد عقب بما يبين الخصوص و يزيل اللبس على تقدير تسليمه، فلم يعتقدوا قط بما ألزموا به أنه لازم ﴿بل[7] هم قوم﴾ أى أصحاب قوة على القيام بما يحاولونه ﴿خصمون﴾ أى شديدوا الخصام قادرون على اللدد[8]، روى الإمام أحمد[9] و الترمذى[10] و ابن ماجه[11] عن

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ادية - كذا (٢-٢) سقط مابين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) تكرر فى الأصل فقط بعد «ا آلهتنا». (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: ان يكون معنا (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من الزبصرى (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اللدود (٩) راجع المسند ٥ / ٢٥٢ (١٠) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه (١١) راجع مقدمة السنن.

أبي أمامة رضي الله عنهم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ الآية.

و لما تضمن هذا أنه غير مهان، صرح به على وجه الحصر قصر قلب لمن[1] / يدعى أنه مقصور على الإلهية فقال: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿هو﴾ / ٧٠٧
أى عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ الا عبد﴾ و ليس هو بإله[2] ﴿ انعمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة [3]و الإحسان[3] ﴿ عليه ﴾ أى بالنبوة و الإقدار على الخوارق ﴿و جعلنه﴾ بما[4] خرقنا به العادة في ميلاده و غير ذلك من آياته ﴿ مثلا ﴾ أى أمرا عجيبا مع وضوحه و جلائه فيه[5] خفاء و موضع شبهة بأن جعلناه من أنثى فقط بلا واسطة ذكر ليضل بذلك من يقف مع المحسوسات، و دللنا على الحق فيه بما منحنا[6] به من الخوارق و زكاء[7] الأخلاق و طيب الشيم و الإعراق إسعادا لمن أعليناه بنور قلبه و صفاء لبه إلى إحسان النظر في المعاني ﴿ لبني اسراءيل ﴾ الذين هم أعلم الناس به، بعضهم بالمشاهدة و بعضهم بالنقل القريب، فلما جاءهم على تلك الحالة الجلية[8] في كونها حقا بما كان على يديه و يدى أمه من الكرامات، آمن به من بصره الله منهم بالحق من أمره بما كان فيه

---

(١) زيد في الأصل: يرجوانه مقصور لمن، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) زيد في الأصل وظ: ما هو الا عبد، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: اى.
(٥) من ظ ومد، وفي الأصل: نفسه (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: امتحننا.
(٧) من ظ ومد، وفي الأصل: ذكاه (٨) من مد، وفي الأصل وظ: الجليلة.

من الكرامات ، و كان كلما رأى رجلا منهم على منهاجه فى أعماله و كرامته اهتدى إلى الحق من أمره، و قال: هذا مثله مثل عيسى عليه الصلاة و السلام [1]فانتفع بالنبى[1] و من تبعه باحسان ، فنال من الله الرضوان ، و قال أيضا هذا الموفق مستبصرا فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام: مثله فى ذلك مثل أبيه آدم عليه الصلاة و السلام فى إخراجه من أنثى بلا ذكر ، بل آدم عليه الصلاة و السلام أعجب ، و مثل ابن خالته يحيى وجده إسحاق عليهما الصلاة و السلام فى إخراج كل منهما بسبب هو فى غاية الضعف ، هذه أمثاله الحسنة و قال من أراد [الله - [2]] به الضلال منهم غير ذلك من المحال ، فلما جعلوا له أمثال السوء ضرب الله عليهم الذلة و المسكنة ، و قال ابن برجان : خصهم - أى بنى إسراءيل - بالذكر لأنهم المفتونون بالدجال المسارعون إليه ، ثم قال : و إنما المثل فى ذلك متى جاء الدجال بتلك الآيات يدعو إلى نفسه فيعارض ما يأتى به عيسى عليه الصلاة و السلام من إحياء الموتى و تأييده بروح القدس ، أى فيضل عن الأمر الواضح من أراد الله فتنته - انتهى ، و الأحسن أن يكون معنى كونه مثلا أنه جعل أمره واضحا[3] جدا بحيث أنه يمثل به فيكون موضحا لغيره ، و لا يحتاج هو إلى مثل يوضحه عند من له أدنى بصيرة .

و لما كان التقدير : فلو شئنا لجعلنا الناس كلهم من أنثى بلا ذكر ، و لو شئنا لساوينا كم بهم فى ذلك الذى ضربناه عليهم من الذل عند ما

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فما ينتفع بالمنتهى (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : واحدا .

جعلوا

جعلوا له مثل السوء فزدنا ما أنتم [فيه - [1]] من الذل و الحقارة عند سائر الأمم بأن سلطناهم عليكم حتى استباحوكم ، ولو شئنا لمحوناكم أجمعين عن وجه الأرض فتركناها [2] يبابا ؟ لا أنيس بها ، عطف عليه قوله : ﴿ و لو ﴾ معبرا بصيغة المضارع إشارة إلى دوام قدرته على تجديد الإبداع فقال : ﴿ نشآء لجعلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ما / هو أغرب مما صنعناه / ٧٠٨ فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ منكم ﴾ أى جعلا مبتدئا منكم ، إما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه الصلاة و السلام من أنثى من غير ذكر و جعلنا آدم عليه الصلاة و السلام من تراب من غير أنثى و لا ذكر و إما بالبدلية ﴿ ملٰٓئكة فى الارض يخلفون ۝ ﴾ أى يكونون خلفا لكم شيئا بعد شيء بعد إعدامكم لجعلناهم مثلا لكم كما جعلنا عيسى عليه الصلاة و السلام مثلا لبنى إسرائيل ، و يجوز أن يكون المعنى : لجعلنا [3] بعضكم ملائكة بأن نحول خلقتهم [4] فنجعلهم خلفا لمن تحولوا [5] عنهم و نخالف [6] بعضهم بعضا ، فانهم من جملة عبادنا أجسام تقبل التوليد كما تقبل الإبداع ، و على كلا التقديرين فذلك إشارة إلى أن الملائكة ذوات ممكنة من جملة عبيده سبحانه ، يصرفهم فى مراده إن شاء فى السماء ، و إن شاء فى الأرض ، لا شيء منكم إلا و هو بعيد جدا عن رتبة الإلهية إرشادا لهم إلى الاعتقاد [7]

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فنزلناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجعلنا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلفتهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحلوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : نخلفه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتقاد .

الحق فى أمره سبحانه بشمول قدرته و كمال علمه اللازم منه أنه لا إله إلا هو .

و لما ذكر سبحانه الإعدام و الخلافة بسببه فرضا، ذكر أن إنزاله إلى الأرض آخر الزمان أمارة على إعدام الناس تحقيقا، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿و انه﴾ أى عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿لعلم للساعة﴾ أى نزوله سبب للعلم بقرب الساعة التى هى إعدام الخلائق كلهم بالموت، و كذا ما نقل عنه من أنه كان يحيي و كذا إبراؤه الأسقام سبب عظيم للقطع بالساعة[1] التى هى القيامة، فهو سبب للعلم بالأمرين: عموم الإعدام و عموم القيام.

و لما كان قريش يستنصحون اليهود يسألونهم - لكونهم أهل الكتاب - عن أمر النبي صلى الله عليه و سلم، و كان النصارى مثلهم فى ذلك، و كان كون عيسى عليه الصلاة و السلام من أعلام الساعة أمرا مقطوعا به عند الفريقين، أما النصارى فيقولون : إنه [2]الذى أتى[2] إليهم و رفع إلى السماء كما هو عندنا، و أما اليهود فيقولون: إنه إلى الآن لم يأت، و يأتى بعد، فثبت بهذا أمر عيسى عليه الصلاة و السلام فيما أخبر الله تعالى عنه من إنعامه عليه، و من أنه من أعلام الساعة بشهادة الفرق الثلاثة اليهود و النصارى و المسلمين ثباتا عظيما جدا، فصارت كأنها مشاهدة، فلذلك سبب عما سبق قوله على لسان نبيه عليه الصلاة و السلام، لافتا القول إلى مواجهتهم مؤكدا فى مقابلة

(١) فى مد : للساعة (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ : التى .

إنكارهم لها بما ثبت من شهادة الفرق الثلاثه: ﴿ فلا تمترن ﴾ أى تشكوا[١] أدنى شك و تضطربوا[٢] أدنى اضطراب و تجحدوا[٣] أدنى جحد و تجادلوا[٤] أدنى جدل ﴿بها[٥]﴾ أى[٦] بسببها، يقال: مرى الشيء و امتراه: استخرجه، و مراه مائة سوط: ضربه، و مراه حقه، أى جحده، و المرية[٧] بالضم و الكسر: الجدل و الشك ﴿ و اتبعون ط ﴾ أى أوجدوا تبعكم بغاية جهدكم ﴿ هذا ﴾ أى كل ما أمرتكم به من هذا و غيره ﴿صراط﴾ أى طريق واسع واضح ﴿مستقيم ه ﴾ أى لا عوج فيه[٨].

/ ٧٠٩ و لما حثهم على السلوك لصراط الولى / الحميد بدلالة الشفوق النصوح الرؤف الرحيم، حذرهم من العدو[٩] البعيد المحترق الطريد[١٠]، فقال دالا على عظيم فتنته بما له من التزيين للمشتهى و الأخذ من المأمن[١١] و التلبيس للمشكل و التغطية للخوف بالتأكيد. لما هم تابعون من ضده[١٢] على وجه التقليد: ﴿ و لايصدنكم ﴾ أى عن هذا الطريق الواضح الواسع المستقيم الموصل إلى المقصود بأيسر سعى ﴿الشيطٰن ج﴾ و لما كان كأنه قيل

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: تشكون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تضطربون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تجحدون (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تجادلون (٥) تكرر فى الأصل بعد «فلا تمترن» (٦) زيد فى الأصل: الساعة أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لامريه (٨) فى ظ و مد: له (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: البعد و (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الطريق (١١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عنده.

ما له يصدنا عن سبيل ربنا؟ ذكر العلة تحذيرا فى قوله : ﴿ انه لكم ﴾ أى عامة ، و أكد الخبر لأن أفعال التابعين لكم أفعال من ينكر عداوته : ﴿ عدو مبين ه ﴾ أى واضح العداوة فى نفسه مناد بها ، و ذلك بالبلاغه فى عداوة أبيكم حتى أنزلكم بانزاله عن محل الراحة إلى موضع النصب ، عداوة ناشئة عن الحسد ، فهى لا تنفك أبدا .

و لما قدم سبحانه أنه أنعم على عيسى عليه الصلاة و السلام و جعله مثلا لبنى إسراءيل ، و لوح إلى اختلافهم و أن بعضهم نزل مثله على غير ما هو به ، و حذر من اقتدى بهم فى نحو ذلك الضلال ، و أمر باتباع الهادى ، و نهى عن اتباع المضل ، صرح بما كان من حالهم حين أبرزه الله لهم على تلك[1] الحالة الغريبة ، فقال عاطفا على ما تقدم تقديره بعد قوله تعالى "وجعلنه[2] مثلا" : ﴿ و لما جآء عيسى ﴾ أى إلى بنى إسراءيل [3]بعد موسى عليهما الصلاة و السلام[3] : ﴿ بالبينت ﴾ أى[4] من الآيات المسموعة و المرئية ، ﴿ قال ﴾ منبها لهم : ﴿ قد جئتكم ﴾ مايدلكم قطعا على أنه آية من عند الله و كلمة منه أيضا[4] ﴿ بالحكمة ﴾ أى الأمر المحكم الذى لا يستطاع نقضه و لا يدفع إلا بالمعانده لأخلصكم بذلك مما وقعتم فيه من الضلال .

(١) زيد فى الأصل : الصورة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جعلنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ و مد .

و لما كان المراد بالحكمة ما نسخ[1] من التوراة و غيره من كل ما أتاهم به، فكان التقدر: لتتبعوه و تتركوا ما كنتم عليه أمرا خاصا هو من أحكم الحكمة فقال: ﴿ و لابين لكم ﴾ أى بيانا واضحا جدا[2] ﴿ بعض الذى تختلفون ﴾ أى الآن ﴿ فيه ج ﴾ و لاتزالون تجددون الخلاف بسببه، و هذا البعض الظاهر بما يرشد إليه ختام الآية أنه المتشابه الذى كفروا بسببه بينه بيانا برده إلى المحكم، و يحتمل أن يكون بعض المتشابه، و هو ما يكون بيانه كافيا فى رد بقية المتشابه إلى المحكم بالقياس عليه، فان الشأن فى كل كتاب أن يجمع المحكم و المتشابه، فالمحكم ما [لا -[3]] لبس فيه، و المتشابه ما يكون ملبسا، و فيه [ما - [4]] يرده إلى المحكم لكن على طريق الرمز و الإشارة التى لايذوقها إلا أهل البصائر ليتبين بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذى رسخ علما [5]و إيمانا يرد[5] المتشابه منه إلى المحكم، أو يعجز فيقول: الله أعلم، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، و لايتزلزل[6]، و الكاذب يتبع المتشابه فيجريه على ظاهره فيشبه كأهل[7] الاتحاد الجوامد المفتونين بالمشاهد و يأول بحسب هواه بما لايتمشى على قواعد [العلم -[4]] و لايوافق المحكم فيفتتن[8] .

و لما صح بهذا أن الذى أرسله الملك الأعلى الذى له الأمر ٧١٠

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: بيح (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: واجدا (٣) زيد و لا بد منه (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الاصل: ايماء لايرد (٦) من ظ و مد، و فى الاصل: لا تتزلزل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل. كاهل (٨) من ظ و مد، و فى الاصل: فيفتن .

كله، فهو فعال لما يشاء، و كان الحامل على الانتماع بالرسل عليهم الصلاة و السلام التقوى، سبب [عنه -[1]] قوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى خافوه لما له من الجلال بحيث لا تقدموا على شىء إلا ببيان منه لأن له كل شىء منكم و من غيركم، و من المعلوم لكل ذى عقل أنه لا يتصرف فى ملك الغير بوجه من الوجوه إلا باذنه ﴿ و اطيعون ﴾ فيما أنقلكم إليه و أبينه لكم مما أبقيكم عليه، فانى لا آخذ شيئا إلا عنه، و لا أتلقى إلا منه، فطاعتى لأمره بما يرضيه هى ثمرة التقوى، و كلما زاد المتقى فى أعمال الطاعة زادت تقواه.

و لما أمرهم بطاعته، علل ذلك بما [2]أزال تهمته[2] ما يطاع فيه، فقال مؤكدا لما فى أعمالهم من المجاملة[3] المؤذنة بالتكذيب: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال و الجمال، فكان أهلا لأن يتقى ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ ربى و ربكم ﴾ نحن فى العبودية باحسانه إلينا و سيادته لنا على حد سواء، فلو لا أنه أرسلنى لما خصنى عنكم بهذه الآيات البينات ﴿ فاعبدوه[4] ﴾ بما آمركم به لأنه صدقنى فى أمركم باتباع ما ظهر على يدى فصار هو الآمر لا أنا.

و لما كان دعاؤه إلى الله بما لا حظ له عليه الصلاة و السلام فيه[5] دل[6] قطعيا على صدقه و لا سيما و قد اقترن بالمعجزات مع كونه فى

(١) زيد من مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: زال تهمة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المجادلة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فاعبده.
(٥) تقدم فى الأصل على «عليه الصلاة و السلام» و الترتيب من ظ و مد.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كان ذلك.

نفسه فى غاية الخفية لايستطاع بعضه بوجه، أشار إلى ذلك كله بقوله على وجه الاستنتاج مما مضى مرغبا فيه دالا على اقتضائه الطاعة ﴿هذا﴾ أى الأمر العظيم الذى دعوتكم إليه ﴿صراط﴾ أى طريق واسع جدا واضح ﴿مستقيم﴾ لا [1]عوج له[1].

ذكر ما يدل على أنه أتى بالحكمة من الإنجيل:

قال متى أحد مترجميه الأربعة و قد خلطت تراجمهم و أغلب السياق لمتى[2]: فلما خرج يسوع و جاء إلى نواحى صور صيدا[3] إذا بامرأة كنعانية - و قال مرقس[4]: يونانية - خرجت من تلك التخوم تصيح[5] و تقول: ارحمنى يا رب يا ابن داود! ابنتى بها شيطان ردىء، فلم يجبها بكلمة، فجاء تلاميذه[6] و سألوه قائلين: [اصرف - [7]] هذه المرأة لأنها تصيح خلفنا، أجاب و قال لهم: لم[8] أرسل إلا إلى[9] الخراف من بيت إسرائيل، فأتت و سجدت له قائلة: يا رب أغثنى فأجاب: ليس هو جيدا أن [10]يؤخذ خبز البنين[10] فيعطى للكلاب، فقالت: نعم! يا رب،

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: اعوجاج له و لا فيه و لا (٢) راجع آية ٢١ و ما بعدها من الأصحاح الخامس عشر (٣) من ظ و مد و الإنجيل، و فى الأصل: صعدو (٤) راجع آية ٢٤ و ما بعدها من الأصحاح السابع. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تضجج (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تلامذه (٧) زيد من الإنجيل، وزيد فى مد شىء لا يتضح (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ثم (٩) من ظ و مد، و فى الاصل: لى (١٠-١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: يأخذ خبز البنين.

و الكلاب تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أربابها ، حينئذ أجاب يسوع و قال لها : يا امرأة عظيمة أمانتك يكون لك كما[1] أردت ، فبرئت ابنتها منه تلك الساعة ، و قال مرقس[2] : فقال لها من أجل هذه الكلمة اذهبى ، قد خرج الشيطان من ابنتك ، فذهبت إلى ابنتها [فوجدت الصبية - [3]] على السرير و الشيطان [قد خرج - [3]] منها ، فجؤا إليه بأخرس أصم فطلبوا إليه أن يضع يده عليه ، فأخرجوه وحده من الشعب ، و ترك أصابعه فى أذنيه ، و تفل ثم مس لسانه و نظر إلى السماء/ ٧١١/ و شهد و قال : الفاثا[4] الذى هو التفتح ، و للوقت انفتح سمعه و سمع ، و انحل رباط لسانه و تكلم مستويا ، و وصاهم أن لا يقولوا لأحد شيئا فأتاهم فكانوا ينكرون كثيرا و يبهتون جدا ، قائلين[5] : ما أحسن كل شيء ! يصنع الخرس يتكلمون و الصم يسمعون ، و قال مرقس[6] : ثم جاء إلى بيت صيدا فقدموا إليه أعمى ، و طلبوا منه أن يلمسه ، فأخذ بيد الأعمى ثم أخرجه خارجا من القرية ، و تفل فى عينيه و وضع يده عليه و سأله : ما ينظر؟ قال : أنظر الناس مثل الشجر يمشون ، فوضع يده أيضا على عينيه ، فأبصر حينا و نظر إلى كل شيء ظاهرا ، قال : ثم جاء إلى ناحية قيسارية فيلقس[7] فسأل تلاميذه : ما ذا يقول الناس فى ابن

(١) من الإنجيل ، و فى الأصل : لما (٢) راجع الأصحاح المذكور (٣) زيد من مد (٤) جاءت الكلمة فى الأصول غير منقوطة ، و فى الإنجيل : افثا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : قايلون (٦) راجع آية ٢٢ من الاصحاح الثامن .
(٧) فى الإنجيل : فيلبس .

الإنسان؟ فقال[1] قوم: يوحنا المعمدان[2]، و آخرون: إليا، و آخرون: إرميا، و واحد من الأنبياء. فقال لهم: فأنتم ما ذا تقولون؟ أجاب سمعان بطرس - و قال: أنت هو المسيح، أجاب يسوع و قال له: [3]طوبى لك[3] يا سمعان ابن يونا لأنه ليس جسد يسعى و أبواب الجحيم لاتقوى عليه و لك أعطى ملكوت السماوات، و ما ربطته الأرض يكون مربوطا فى السماوات، و ما حللته على الأرض يكون محلولا فى السماوات، و بدأ يسوع من ذلك الوقت يخبر تلاميذه أنه ينبغى أن يمضى إلى يروشليم و يقبل آلاما كثيرة[4] من المشايخ و رؤساء الكهنة و الكتبة، و قال: من أراد أن يتبعنى فليكفر بنفسى، و من أراد أن يخاص نفسه فليهلكها، و من[5] أهلك نفسه من أجلى وجدها، ما ينفع الإنسان لو ربح العالم كله و خسر نفسه؟ و ما ذا يعطى الإنسان فداء لنفسه، و قال لوقا[6]: و كان جمع[7] كثير ينطلق فالتفت لهم و قال لهم: من يأتى إلىّ [و لا يبغض -[8]] أباه و أمه و امرأته و بنيه و إخوته و أخواته نعم حتى نفسه، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا، من منكم يريد أن يبنى برجا و لا يجلس أولا[9] و يحسب

---

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: فقالوا (٢) من مد و الإنجيل، و فى الأصل: الهمدانى (٣-٣) من ظ و مد و الإنجيل، و فى الأصل: طوباك (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: كثير (٥) زيد فى الأصل و ظ: اهلكها اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) راجع آية ٢٥ من الأصحاح الرابع عشر (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: جميع (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و لا.

نفقته؟ و هل له ما يكمله لكيلا يستهزئ به كل من ينظره إذا وضع الأساس و لم يقدر على إكماله، و أى [ملك - [١]] يخرج إلى محاربة ملك آخر فلا يجلس أولا و يفكر هل يستطيع أن يلقى بعشرة آلاف الموافى إليه فى عشرين ألفا إلا فما دام [٢]بعيدا منه[٢] يرسل رسلا رسل سلامة، و هكذا كل منكم إن لم يرفض كل شىء له لا يقدر أن يكون لى تلميذا، و ذكر لوقا [٣] أيضا أنه عليه الصلاة و السلام كان فى وليمة فقال مثلا لأنهم كانوا يتخيرون المتكآت فقال لهم: متى دعاك[٤] أحد إلى عرس فلا تجلس فى أول الجماعة. فلعله قد دعا هناك أكرم منك عليه فيأتى الذى دعاه فيقول له: يا حبيب! ارتفع إلى فوق، حينئذ يكون [لك -[١]] مجدا / قدام المتكئين معك لأن كل من يرتفع يتضع، و كل /٧١٢
من يتضع يرتفع، و قال للذى دعاه: و إذا صنعت وليمة فلا تدع أحباءك و لا إخوتك و لا أقاربك و لا أغنياء جيرانك لعلهم أن يدعوك أيضا فيكون لك مكافأة، لكن إذا صنعت طعاما فادع المساكين و العور [و الضعفاء - [٥]] و العميان، و طوباك لأنه ليس لك ما يكافئونك، و مجازاتك تكون فى قيامة الصديقين، فسمع واحد من المتكئين ذلك، فقال له: طوبى لمن يأكل خبزا فى[٦] ملكوت الله، و قال متى: و جاء تلاميذ[٧] يسوع إليه و قالوا له: من هو العظيم فى ملكوت

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بعيد (٣) راجع آية ٩ من الأصحاح الرابع عشر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: دكان (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تلميذه.

[السماوات - [1]] ، فدعا طفلا و أقامه بينهم و قال : الحق أقول : إن لم ترجعوا و تكونوا مثل الصبيان لا تدخلوا ملكوت السماوات ، و من اتضع مثل هذا الصبى فهو العظيم فى ملكوت السماوات ، و من قبل صبيا مثل هذا باسمى فقد قبلنى ، [2]قال مرقس : و من قبلنى فليس يقبلنى فقط [بل - [3]] و الذى أرسلنى ، و قال لوقا : و من قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى ، و الذى هو الصغير فيكم هو الأكبر ، قال متى : و من شك[4] أحد هؤلاء الصغار المؤمنين فخير أن يعلق حجر الرحى فى رقبته ، و يغرق فى البحر ، الويل للعالم من الشكوك لكن الويل للانسان الذى يأتى منه الشكوك ، [5]إن شككتك[5] يدك أو رجلك فاقطعها و ألقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة و أنت أعرج أو أعسم من أن يكون لك يدان أو رجلان و تلقى فى نار الأبد ، و قال مرقس : و تذهب إلى جهنم حتى لا تطفأ نارها و لا يموت دودها - انتهى[6] . و إن شككتك[7] عينك فاقلعها و ألقها عنك فخير لك أن تدخل الحياة بعين واحدة من أن يكون لك عينان و تلقى فى جهنم ، و قال مرقس : و كل شىء بالنار يملح و كل ذبيحة تملح بالملح جيد هو الملح ، فان[8] فسد الملح فبما ذا يملح فليكن فيكم الملح ، و يكون سلام بعضكم بعضا ، و قال لوقا : ثم قال : من أجل

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « فقد قبل » ساقطة من مد .
(٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سأل (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : شككتك و فى ظ : ان سكلتك (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : تنتهى .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شككتك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاذا .

أقوام يقولون : إنهم صديقون و يحقرون البقية، هذا المثل رجلان صعدا إلى الهيكل ليصليا[١]، أحدهما فريسى[٢] و الآخر عشار، فأما الفريسى فانه كان يصلى بهذا فى نفسه : اللهم إنى أشكرك لأنى است مثل سائر الناس العاصين الظلمة الفجار، و لامثل هذا العشار، فكان قائما من بعيد و لايرى أن يرفع عينيه إلى السماء، و كان يضرب على صدره و يقول : اللهم اغفر لى فانى خاطىء، أقول لكم : إن هذا نزل إلى بيته أمر من ذلك لأن كل من يرفع نفسه يتضع، و كل من يضع[٣] نفسه يرتفع، ثم قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم، فلما نظرهم التلاميذ نهروهم فقال : دعوا الصبيان يأتوا إلىّ و لا تمنعوهم لأن ملكوت الله لمثل هؤلاء، الحق أقول لكم، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لايدخلها، و قال متى : انظروا لاتحقروا أحد هؤلاء الصغار، لم يأت ابن الإنسان إلا ليطلب و يخلص من كان ضالا[٤]، ما ذا تظنون إذا [كان الإنسان - [٥]] مائة خروف فضل منها واحد ليس يترك التسعة و التسعين فى الجبل، و يمضى يطلب الضال؟ و قال لوقا : حتى يجده، الحق [أقول - [٥]] لكم، إنه يفرح به أكثر من التسعة و التسعين التى لم تضل، هكذا[٦] ليس مشيئة ربى الذى فى السماوات أن يهلك أحد من هؤلاء الصغار، و قال لوقا[٧] : و دنا منه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : ليصليان (٢) من ظ و مد : و فى الأصل : قربى (٣) من ظ و مد، و فى الاصل : يتضم (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : حالا (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : هذا (٧) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح الخامس عشر .

العشارون و الخطأة ليسمعوا منه فتذمر[1] الفريسيون و الكتبة قائلين : هذا يقبل الخطأة و يأكل معهم ، فقال لهم : أى رجل منكم له مائة خروف فيتلف واحد [منها -[2]] ليس يترك التسعة و التسعين فى البرية و يمضى إلى الضال حتى يجده ، فاذا وجده حمله على منكبيه فرحا ، و يأتى به إلى بيته و يدعو أصدقاءه و جيرانه[3] و يقول لهم : افرحوا[4] معى لوجودى خروفى الضال ، أقول لكم : إنه يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من التسعة و التسعين الصديق الذين[5] لا يحتاجون إلى توبة ، و أى[6] امرأة لها عشرة دراهم يتلف واحد منها أليس[7] توقد سراجا و تكنس بيتها و تطلبه مجتهدة حتى تجده ، فاذا وجدته دعت أحبابها و جاراتها قائلة[8]: افرحوا [9]لى لوجودى درهمى[9] الضال ، هكذا أقول لكم : يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب ، و قال : إنسان[10] له ابنان فقال الأصغر يا أبتاه ! أعطنى نصيبى من مالك فقسم بينهما ماله ، و بعد أيام قليلة جمع الأصغر كل شيء له و سافر إلى كورة بعيدة ، و بذر[11]

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فتزمر (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جيرتاه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : افرعوا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجن (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قايلا (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى وجودى دار - و بعده بياض قدر كلمتين (١٠) من مد و الإنجيل ، و فى الأصل : اثنان (١١) من الإنجيل ، و فى لأصول : يرد .

ماله هناك بعيش بذخ[1] ، فلما نفد كل شيء له حدث جوع شديد فى تلك الكورة فافتقر و انقطع إلى رجل منها فأرسله إلى حقله يرعى خنازير، و كان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله، فلا يعطى ذلك، ففكر فى نفسه و قال: كم من [2]أجراء أبى[2] يفضل عنهم الخبز[3] و أنا ههنا أهلك جوعا، أقوم أمضى إلى أبى و أقول: يا ابتاه! أخطأت فى السماء و بين يديك، و لست[4] بمستحق أن أدعى لك ابنا لكن اجعلنى كأحد أجرائك[5] فجاء إليـــه فنظره أبوه فتحنن و أسرع و اعتنقه و قبله فقال: يا ابتاه[6]! أخطأت فى السماء و قدامك، و لست بمستحق أن ادعى لك ابنا، فقال أبوه لعبيده: قـــدموا الحلة الأولى و ألبسوه و أعطوه خاتما فى يده، و حذاء[7] فى رجليه، و ائتوا بالعجل المعلوف و اذبحوه [و نأكل و نفرح لأن ابنى هذا كان ميتا فعاش، و ضالا فوجد. فبدأوا يفرحون، وكان ابنه الأكبر فى -[8]] الحقل[9]، فلما جاء و قرب من البيت سمع المزاهر و اتفاق الأصوات و الرقص، فدعا واحدا من الغلمة و سأله فقال له: إن أخاك قدم، و ذبح أبوك

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : مدح (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : احرالى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التبر (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليس (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : اجزايك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اباتاه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : جزه (٨) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : المثل .

العجل المعلوف ، فغضب و لم يرد أن يدخل ، فخرج أبوه و طلب إليه[1] فقال : كم[2] لى من سنة أخدمك و لم أخالف لك وصية قط و لم تعطنى جديا واحدا أتنعم به مع أصدقائى ، فلما جاء ابنك هذا الذى أكل مالك مع الزناة ذبحت له العجل المعلوف ، فقال له : يا بنى ! أنت معى فى كل حين و فى كل شيء هو لى ، و ينبغى لك أن تسر و تفرح لأن أخاك هذا كان / ميتا فعاش ، و ضالا فوجد ، و قال[3] : رجل كان غنيا يلبس / ٧١٤
الأرجوان و كان يتنعم كل يوم و يلذ ، و مسكين[4] كان اسمه العازر مطروحا عند بابه مضروبا بقروح ، و كان يشتهى أن يشبع من الفتات الذى يسقط من مائدة ذلك الغنى ، و كانت الكلاب تأتى و تلطع[5] قروحه ، فلما مات ذلك المسكين أخذته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، [و مات ذلك الغنى و قبر فرفع عينيه فى الهاوية و هو فى العذاب ، فنظر إبراهيم -[6]] من بعيد و العازر فى حضنه ، فنادى : يا ابتاه إبراهيم ! أرحمنى و أرسل العازر[7] ليبل طرف إصبعه بما يبرد لسانى لأنى معذب فى اللهب ، فقال له إبراهيم : يا ابنى اذكر أنك قد قتلت جيرانك فى حياتك و العازر فى بلائه و الآن فهو يستريح هاهنا و أنت تعذب ، و مع ذلك[8] فبيننا و بينكم أهوية عظيمة نائية لا يقدر أحد على العبور من ههنا إليكم ، و لا من هنا إلينا ،

(١) من مد و الإنجيل ، و فى الأصل : انه ، و فى ظ : ابنه (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع آية ١٩ فما بعدها من الأصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : مسكينا . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : تلطلع - كذا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما لعازر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : هذا .

قال له : أسألك يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبي ، فان خمسة أخوة لكى يناشدهم لئلا يأتوا إلى موضع هذا العذاب ، قال له إبراهيم : عندهم موسى و الأنبياء فليسمعوا[1] منهم ، فقال له : يا أبتاه إبراهيم ! إن لم يمض إليهم واحد من الأموات ما يتوبون ؟ فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى و الأنبياء فليس إن قام[2] واحد من الأموات يصدقونه ، و قال لتلاميذه : سوف تأتي الشكوك و الويل ، الذي تأتي الشكوك من قبله خير له [لو -[3]] علق حجر رحى الحماز في عنقه و يطرح في البحر من أن يشكك[4] أحدا من هؤلاء الضعفاء - [5]و الله أعلم[5] .

و لما كان [6]الطريق الواضح[6] القديم موجبا للاجتماع عليه ، و الوفاق عند سلوكه ، بين أنهم سببوا عنه بهذا الوعظ غير ما يليق بها بقوله : ﴿ فاختلف ﴾ و بين أنهم أكثروا[7] الاختلاف بقوله : ﴿ الاحزاب ﴾ أي أنهم لم يكونوا فرقتين فقط ، بل فرقا كثيرة . و لما كانت العادة أن يكون الخلاف بين أمتين و قبيلتين و نحو ذلك ، و كان [8]اختلاف الفرقة الواحدة[8] عجبا ، بين أنهم من أهل القسم فقال : ﴿ من بينهم ج ﴾ أي اختلافا ناشئا ابتدأ من بين بني إسرائيل الذين[9] جعلناهم مثلا لهم ،

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : فيسمعوا (٢) من مد و الإنجيل ، و في الأصل و ظ : قاد (٣) زيد من مد و الإنجيل (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : بسلك . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) من مد ، و في الأصل و ظ : الطابق بالواضح-كذا (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : اكثروا (٨-٨) من ظ و مد ، و في الأصل : الاختلاف لفرقة واحدة (٩) من مد ، و في الأصل و ظ : الذى .

و قال

و قال لهم: قد جئتكم بالحكمة ، فسبب عن اختلافهم قوله: ﴿ فويل ﴾ و كان أن يقال : لهم، و لكنه ذكر الوصف الموجب للويل تعميما و تعليقا للحكم به . و لما كان فى سياق الحكمة، و هى وضع الشيء فى أتقن مواضعه، جعل الوصف الظلم الدى أدى[1] إليه الاختلاف فقال: ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى وضعوا الشيء[2] فى غير موضعه مضادة لما أتاهم صلى الله عليه و سلم به من الحكمة ﴿ من عذاب يوم اليم ﴾ أى مؤلم، و إذا كان اليوم مؤلما فما الظن بعذابه .

و لما عم الظالمين[3] بالوعيد بذلك اليوم فدخل فيه قريش و غيرهم، أتبعه ما هو كالتعليل مبرزا له فى سياق الاستفهام لأنه أهول فقال: ﴿ هل ﴾ و جرد[4] الفعل إشارة إلى شدة القرب حتى كأنه بمرأى فقال: ﴿ ينظرون ﴾ أى ينتظرون ﴿ الا الساعة ﴾ أى ساعة الموت العام و البعث و القيام، / فان ذلك لتحقق أمره كأنه موجود منظور إليه . / ٧١٥

و لما قدم الساعة تهويلا تنبيها على أنها لشدة ظهور دلائلها كأنها مرئية بالعين هزا لهم إلى تقليب أبصارهم لتطلب رؤيتها، أبدل[5] منها [زيادة -[6]] فى التهويل[7] قوله تعالى: ﴿ ان تاتيهم ﴾ و حقق احتمال

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : ادق (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشيء.
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : أعلم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : جود.
(٥) من ظ و مد و فى الأصل : انزل (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل : التأويل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

رؤيتها بقوله[1]: ﴿ بغتة ﴾ و لما كان البعث قد يطلق على ما يجهل[2] من بعض الوجوه، أزال هذا الاحتمال بقوله: ﴿ و هم لايشعرون ﴾ أى لايحصل لهم بعين الوقت الذى يجيء نوع من أنواع العلم، و لا بما كالشعرة منه.

و لما كانت الساعة تطلق على الحبس بالموت و على النشر بالحياة، بين ما يكون فى الثانى الذى هم له منكرون من أحوال المبعوثين على طريق الاستئناف فى جواب من يقول: هل يقومون على ما هم عليه الآن؟ فقال[3]: ﴿ الاخلاء ﴾ أى فى الدار ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ تكون الساعة و هى ساعة البعث [4]التى هى[4] بعض مدلول الساعة ﴿ بعضهم لبعض عدو ﴾ و لما[5] ينكشف لهم من أن تأخيرهم فى الحياة الدنيا هو السبب فى عذابهم، فيقول التابع للتبوع: أنت غررتنى فضررتنى، و يقول المتبوع: بل أنت كبرتنى فصغرتنى، و رفعتنى فوضعتنى، و نحو هذا من الكلام المؤلم أشد الإيلام ﴿ الا المتقين ﴾ الذين تقدم أمرهم بالتقوى و حثهم عليها.

و لما أفهم هذا أنهم لاعداوة بينهم، بل يكونون فى التواد على أضعاف ما كانوا عليه فى الدنيا لما ظهر لهم من توادهم فيها و تناصرهم هو أفضى بهم إلى الفوز الدائم برضوان الله، وصل به حالا بين فيها ما يتلقاهم به من تواد فيه سبحانه تشريفا لهم و تسكينا لما يقتضيه ذلك

(١) زيد فى الأصل: الا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يحمل (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) من ظ ومد، و فى الأصل: او الذى هو (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لا.

المقام من الأهوال: ﴿ يٰعباد ﴾ أى مقولا لهم هذا، نخص[1] بالإضافة إليه كما خصوه بالعبادة ﴿لاخوف﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عليكم اليوم﴾ أى فى الآخرة بما يحويه [2]ذلك اليوم العظيم[2] من الأهوال و الأمور الشداد و الزلازل ﴿ و لآ انتم تحزنون ج ﴾ أى لايتجدد لكم حزن على شيء فات فى وقت من الأوقات الآتية لأنكم لايفوتكم شيء تسرون به.

و لما ناداهم بما يطمع فيه سائر أهل الموقف لأن كل حزب يقولون: نحن عباده، خص المرادين بما [3]يوئس غيرهم[3] و لئلا يكون الوصف بالتقوى [موقفا -[4]] لمن سمعه اليوم من الكفار عن الدخول فى الدين ظنا منهم أن الرسوخ فى التقوى شرط فيه حين الدخول و كانوا لا يستطيعون ذلك، فوصف سبحانه المتقين بما يهون الوصول إلى درجتهم على غيرهم فقال: ﴿ الذين ءامنوا ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة ﴿ بايٰتنا ﴾ الظاهرة عظمتها فى نفسها أولا و بنسبتها إلينا ثانيا ﴿و كانوا﴾ أى دائما [بما -[4]] هو لهم كالجبلة و الخلق ﴿مسلمين ج ﴾ أى منقادين للأوامر و النواهى أتم انقياد، فبذلك يصلون / إلى حقيقة التقوى التامة. / ٧١٦

و لما ذكر ما لهم بشارة لهم و ترغيبا لغيرهم فى اللحاق بهم[6] على وجه فيه إجمال، شرح ذلك بقوله: ﴿ادخلوا الجنة﴾ و لما كانت الدار

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: نخص (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لوين عليهم (٤) زيد من مد.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الدنيا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لهم.

لاتكمل إلا بالرفيق السار، قال تعالى: ﴿ انتم و ازواجكم ﴾ اى نساؤكم اللاتى كن مشاكلات لكم فى الصفات، و[1]أما قرناؤهم[1] من الرجال فدخلوا فى قوله " كانوا مسلمين " ﴿ تحبرون ﴾ أى تكرمون و تزينون فتسرون سرورا يظهر أثره عليكم مستمرا يتجدد أبدا.

و لما كان هذا أمرا [سائقا إلى حالهم -[2]] سابقا لمن كان و اقفا عنهم إلى وصالهم، أقبل على من لعله يوقفه الاشتغال [3]بلهو أو[3] مال محركا لما جهل[4] منه[5]، و منبها على ما غفل عنه، فقال عائدا إلى الغيبة رغيبا فى التقوى: ﴿ يطاف عليهم ﴾ أى المتقين الذين جعلناهم بهذا النداء ملوكا ﴿ بصحاف ﴾ جمع صحفة[6] و هى القصعة ﴿ من ذهب ﴾ فيها من ألوان الأطعمة و الفواكه و الحلوى ما لايدخل تحت الوهم.

و لما كانت آنية الشرب فى الدنيا أقل من آنية الأكل، جرى على ذلك المعهود، فعبر بجمع القلة فى قوله: ﴿ و اكواب ﴾ جمع كوب و هو كوز مستدير مدور الرأس لا عروة له، قد تفوق عن[7] شيء منه اليد أو الشفة[8] أو يلزم منها بشاعة فى شيء من دائر الكوز، و إيذانا بأنه لا حاجة أصلا إلى تعليق شيء لتزيد[9] أوصافه عن أذى[10]

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: لما قرناهم (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بلو (٤) فى ظ و مد: جهد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: القفة (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: السعه (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: لتزايد (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: اذنى.

أو نحو ذلك .

و لما رغب فيها بهذه المغيبات ، أجمل بما[1] لا يتمالك معه عاقل عن المبادرة إلى الدخول فيما يخصها فقال : ﴿و فيها﴾ أى الجنة . و لما كانت اللذة محصورة فى المشتهى قال تعالى : ﴿ ما تشتهيه الانفس ﴾ من الأشياء المعقولة و المسموعة و الملموسة و غيرها جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات فى الدنيا . و لما كان ما يخص المبصرات من ذلك أعظم ، خصها فقال : ﴿ و تلذ الاعين ج ﴾ من الأشياء المبصرة التى أعلاها النظر إلى وجهه الكريم تعالى ، جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق .

و لما كان ذلك لا يكمل طيبه إلا بالدوام ، قال عائدا إلى الخطاب لأنه أشرف و ألذ مبشر لجميع المقبلين على الكتاب ، و الملتفت إليهم بالترغيب فى هذا الثواب ، بشارة لهذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة و السلام بما قدمه فى [أول ـ [2]] السورة و أثنائها من بلوغ قومه نهاية العقل و العلم الموصلين إلى أحسن[3] العمل الموجب للسعادة : ﴿ و انتم فيها خلدون ج ﴾ لبقائها و بقاء كل ما فيها ، فلا كلفة عليكم أصلا من خوف من زوال و لا حزن من فوات .

و لما كان التقدير : الجنة التى لمثلها يعمل العاملون ، عطف عليه قوله مشيرا إلى فخامتها بأداة البعد : ﴿ و تلك الجنة ﴾ أى العالية المقام ﴿التى﴾ و لما كان الإرث أمكن للملك ، و كان مطمح النفوس إلى المكنة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسن .

فى الشيء مطلقا لا يبعد، بنى[1] للفعول قوله تعالى: ﴿ اورثتموها ﴾ و لما كان ما حصله[2] الإنسان [3]بسعيه ألذ فى نفسه[3] لسروره بالتمتع به و بالعمل

/٧١٧ /الذى كان من سببه، قال تعالى: ﴿ بما ﴾ و بين أن العمل كان لهم كالجبلة التى جبلوا عليها، فالمنة لربهم فى الحقيقة بما زكى لهم أنفسهم بقوله: ﴿ كنتم تعملون ه ﴾ أى مواظبين على ذلك لا تفترون . و لما كان الأكل[4] أعم الحاجات و أعم الطلبات، قال تعالى مبينا أن جميع أكلهم تفكه ليس فيه شيء تقوتا لأنه لا فناء[5] فيها لقوة و لا غيرها لتحفظ بالأكل و لا ضعف ﴿ لكم فيها فاكهة ﴾ أى ما يؤكل تفكها و إن كان لحما و خبزا . و لما كان ما يتفكه[6] فى الدنيا قليلا قال تعالى: ﴿ كثيرة ﴾ و دل مع الكثرة على دوام النعمة بقصد التفكه بكل شيء فيها بقوله: ﴿ منها ﴾ أى لا من غيرها مما يلحظ فيه التقوت ﴿ تاكلون ه ﴾ فلا تنفد أبدا و لا تتأثر بأكل الآكلين لأنها على صفة الماء النابع، لا يؤخذ منه شيء إلا خلف مكانه مثله [7]أو أكثر منه[7] فى الحال .

[و لما ذكر ما للقسم الثانى من الأخلاء -[8]] و هم المتقون ترغيبا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بناء (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : حاصله .

(٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لسعيه فى الدنيا لنفسه - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاقل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فبانها .

(٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) زيد من مد .

لهم[1] فى التقوى[2]، أتبعه ما لأضدادهم أهل القسم الأول تحذيرا من مثل أعمالهم، فقال استئنافا مؤكدا فى مقابلة إنكارهم: ﴿ان المجرمين﴾ أى الراسخين فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ﴿فى عذاب جهنم﴾ أى النار التى من شأنها لقاء داخلها بالتجهم و الكراهة و العبوسة كما كان يعمل عند قطعه لأولياء الله تعالى ﴿خٰلدون صلے﴾ لأن إجرامهم كان طبعا لهم لاينفكون عنه أصلا ما بقوا.

و لما[3] بين إحاطته بهم إحاطة الظرف بمظروفه[4]، و كان من المعلوم أن النار لاتفتر عمن لابسته إلا بمفتر يمنعها بماء يصبه[5] عليها أو تقليل من وقودها أو غير ذلك خرقا للعادة، بين أنه لايعتريها نقصان أصلا كما يعهد فى عذاب الدنيا [6]لأنهم هم[6] وقودها فقال تعالى: ﴿لا يفتر عنهم﴾ [أى -[7]] لايقصد إضعافه [بنوع -[8]] من الضعف، فنفى التفتير نفى للفتور من غير عكس، قال البيضاوى: و هو من فترت عنه الحمى - إذا سكنت، و التركيب للضعف.

و لما كان انتظار الفرج مما يخفف[9] عن المتضايق[9]، نفاه بقوله:

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل: و لما كان هذا ما وعده سبحانه و تعالى للمتقين المطيعين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: كان الأمر كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بالمظروف (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ينصبه (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الدنهم - كذا (٧) زيد من مد (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

﴿ و هم فيه مبلسون ﴾ أى[1] ساكتون سكوت يأس من النجاة و الفرج .

و لما [2]كان ربما ظن من لابصيرة له أن هذا العذاب[2] أكبر و أكثر مما يستحقونه، أجاب سبحانه بقوله ليزيد عذابهم برجوعهم باللائمة على نفوسهم و وقوعهم فى منادمات الندامات : ﴿ و ما ظلمنهم ﴾ نوعا من الظلم [3]لأنه تعالى مستحيل فى حقه الظلم[3] ﴿ و لكن كانوا ﴾ جبلة و طبعا و عملا و صنعا دائما ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الظلمين ۝ ﴾ لأنهم بارزوا المنعم عليهم بالعظائم و نووا أنهم لاينفكون عن ذلك ما بقوا، و الأعمال بالنيات، و لو كانوا / يقدرون على أن [لا ـ[4]] يموتوا [4]لما ماتوا[4] .

718 /

و لما كان من مفهوم الإبلاس[5] السكوت، أعلم بأن سكوتهم ليس دائما لأن الإنسان إذا وطن نفسه على حالة واحدة ربما خف عنه بعد الألم، فقال مبينا [أنهم ـ[6]] من البعد بمحل كبير لايطمعون معه فى خطاب الملك، و أنهم مع علمهم باليأس يعلقون آمالهم بالخلاص كما يقع للتمنين للحالات[7] فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى المهم : ﴿ونادوا﴾ ثم بين أن المنادى خازن النار فقال مؤكدا لبيان البعد بأداته : ﴿ يـملك ﴾ و قراءة " يا مال[8] " للاشارة إلى أن العذاب أوهنهم

(1) زيد فى الأصل : حال كونهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (2-2) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (3) سقط من ظ و مد (4-4) من ظ و مد ، و فى الأصل : لماتوا (5) من ظ و مد ، و فى الأصل : الالباس . (6) زيد من مد (7) من ظ و مد ، و فى الأصل : للحاولات (8) من ظ و مد ، و فى الأصل : ياما .

عن

عن إتمام الكلام، و لذا[1] قالوا: ﴿ليقض علينا﴾ أى سله سؤالا حتما أن[2] يقضى القضاء الذى لاقضاء مثله، و هو الموت على[3] كل واحد [منا -[4]]، و جروا على عادتهم فى الغباوة و الجلافة فقالوا: ﴿ربك[4]﴾ أى المحسن إليك فلم يروا الله عليهم إحسانا و هم فى تلك الحالة، فلا شك أن إحسانه ما انقطع عن موجود أصلا، و أقل ذلك أنه[5] لايعذب أحدا منهم فوق استحقاقه، و لذلك[1] جعل[6] النار دركات كما كانت الجنة درجات، و يجوز أن تكون عبارتهم بذلك تغيظا له بما رأوا من ملابسة النار من تأثير فيه، و نداؤهم لاينافى إبلاسهم لأنه السكوت عن يأس، و ذلك لازم لهم لأنهم كلما سكتوا كان سكوتهم عن يأس، فسكوتهم[7] المقيد باليأس دائم، فلذلك[8] سألوا الموت، و الحاصل أنهم لايتكلمون بما يدل على رجاء الفرج[9] [بل هم ساكتون أبدا عن ذلك .... اليأس لا على رجاء الفرج -[4]] باللحاق برتبة المتقين.

و لما ذكر نداءهم، استأنف ذكر جوابهم بقوله: ﴿قال﴾ أى مالك عليه الصلاة و السلام مؤكدا قطعا لأطماعهم لأن كلامهم هذا بحيث يفهم الرجاء و يفهم بأن رحمة الله تعالى التى هى موضع الرجاء خاصة

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: كذلك (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: اى (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بابه (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: جعلنا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل فسكوتهم (٨) من ظ و مد، - فى الأصل: فكذلك. (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: القدح.

بغيرهم ﴿ انكم مكثون ۝ ﴾ .

و لما ذكر سبحانه الساعة عند ذكر عيسى عليه الصلاة و السلام فقال "و انه لعلم للساعة" و أكد أمرها و شرح بعض أحوالها إلى أن ختم [1]بما دل[1] على انحلال عزائمهم و لين شكائمهم، وكانوا غير مقرين[2] بذلك، قال مؤكدا جوابا لمن يصر بعض البصر فيقول: أحق هذا؟ و يتوقع الجواب: ﴿لقد جئنكم﴾ أى فى هذه السورة خصوصا و جميع القرآن عموما[3]، سمى مجيء الرسل [4]مجيئا لهم[4] لما لمجيئهم من العظمة التى أشارت إليها النون ﴿ بالحق ﴾ الكامل فى الحقية[5]، و لما كان ظهور حقيته[6] بحيث لايخفى على أحد و لكن شدة البغض و شدة الحب تريان الأشياء على غير ما هى عليه، قال إشارة إلى ذلك: ﴿و لكن اكثركم﴾ أى أيها المخاطبون ﴿ للحق كرهون ۝ ﴾ [7]لما فيه من المنع عن الشهوات فلذلك أنتم تقولون: إنه ليس بحق[8] لأجل كراهتكم فقط، لا لأجل أن فى حقيته نوعا من الخفاء.

و لما كان هذا مخرا لا جواب فيه اظهور الدلائل و تعالى العظمة إلا الرجوع، وكان من لايرجع إنما يريد محاربة الإله الأعظم، قال

(١-١) من مد، و فى الأصل و ظ: بمال (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: غير معربين (٣) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: مجابلة (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الحقيقة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقة (٧) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل وظ: بقوله.

عادلا عن الخطاب إزالا لهم بالغيبة منزلة البعيد الذى لا يلتفت إليه معادلا لما تقديره : أرجعوا لما ظهر لهم من الحق الظاهر / ﴿ام ابرموآ﴾ أى / ٧١٩ أحكموا ﴿ امرا ﴾ فى رد أمرنا و معاداة أوليائنا مع علمهم بأنا مطلعون عليهم .

و لما كان سبحانه مطلعا بطية أمرهم و غائب[1] سرهم ، سبب عما سأل عنه من إبرامهم ما دل على أنه عالم به و قد أبرم له قبل كونه ما [2]يزيله و يعدمه و يحيله[2] ، على سبيل التأكيد لإنكارهم أن يغلبوا فقال : ﴿فانا مبرمون ج﴾ أى دائما للأمور لعلمنا[3] بها قبل كونها و قدرتنا و اختيارنا ، تلك صفتنا التى لا تحول بوجه : العلم و القدرة و الإرادة ، لم يتجدد لنا شىء لم يكن .

و لما كان إصرارهم بين العزم على مجاهرة[4] القدير بالمعاداة و بين معاملته و هو عليم[5] بالمساترة و المماكرة[6] فى المعاداة و المباكرة و المسالمة[7] و المناكرة قال تعالى : ﴿ام يحسبون انا﴾ على ما لنا من العظمة المقتضية بجميع صفات الكمال[8] ﴿ لانسمع ﴾ و لما كان المراد إثبات[9] أن علمه تعالى محيط بالخفى و الجلى ، نسبة كل منهما [إليه -[10]] على السواء ، ذكرهما

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غاية (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل : بزيلو و بعد منه و يحليوه ، و فى ظ : يزيله و بعد منه و يحليوه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٤) فى ظ و مد : مجاهدة (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليهم (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما كره (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الملامة (٨) زيد فى الأصل و ظ : انا ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مغيات (١٠) زيد من مد .

و قدم ما من شأنه أن يخفى و هو المكر المشار إليه بالإبرام ، لأن السياق له فقال تعالى : ﴿ سرهم ﴾ أى كلامهم الخفى و لو[١] كان فى الضمائر [فيما يعصينا ، و لما كان ربما وقع فى الأوهام أن المراد بالسمع إنما هو العلم لأن السر ما يخفى و هو يعم ما فى الضمائر - [٢]] و هى[٣] مما يعلم ، حقق أن المراد به حقيقته بقوله : ﴿ و نجوٰىهم ﴾ أى كلامهم المرتفع حتى كأنه على نجوة أى مكان[٤] عال ، فعلم أن المراد حقيقة السمع ، و أنه تعالى يسمع كل ما يمكن أن يسمع و لو لم يكن فى قدرتنا نحن سماعه ، فنكون فيه كالأصم بالنسبة إلى ما نسمعه نحن من الجهر و لا يسمعه[٥] هو لفقد[٦] قوة السمع فيه ، لا لأنه مما من حقه ألا يسمع .

و لما كان إنكار[٧] عدم السماع [معناه السماع [٨]] ، صرح به فقال : ﴿ بلى ﴾ أى نسمع[٩] الصنفين كليهما على حد سواء ﴿ و رسلنا ﴾ و هم الحفظة من الملائكة على ما لهم من العظمة بنسبتهم إليـــنا . و لما كان حضور الملائكة معنا و كتابتهم لجميع أعمالنا على وجه لا نحس به نوع إحساس أمرا هو فى غاية الغرابة ، [١٠]قال معبرا بلدى التى يعبر بها عند اشتداد الغرابة[١٠] : ﴿ لديهم يكتبون ﴾ أى يجددون الكتابة [١١]كلما تجدد[١١]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بمكان (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لانسمعه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لفقده (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : انكارهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسمع (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١-١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : كما يجدد .

ما

ما يقتضيها لأن الكتابة أوقع فى التهديد، لأن من علم أن أعماله محصاة مكتوبة تجنب[1] ما يخاف عاقبته .

و لما تقدم أول السورة تبكيتهم و التعجيب منهم فى ادعائهم لله ولدا من الملائكة و هددهم بقوله "ستكتب شهادتهم و يسئلون" و ذكر شبههم[2] فى قولهم[3] "لو شاء الرحمن ما عبدنهم" و جهلهم فيها بقوله "ما لهم بذلك من علم" و نفى أن يكون لهم [على -[4]] ذلك دليل سمعى[5] بقوله[6] منكرا موبخا "ام اتينهم كتبا" و مر فى توهية أمرهم فى ذلك و غيره بما [7]لاحم بعضه[7] بعضا على ما تقدم إلى أن تم نفى الدليل السمعى على طريق النشر المشوش بقوله تعالى "و اسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا"، و نظم به ما أتى به [رسوله أهل الكتاب مما يصدق ما أتى به كتابنا من التوحيد و ما هدد به -[4]] من أعرض عنه إلى أن أخبر أنه الحق الذى لا زوال أصلا لشيء منه، و أن رسله سبحانه تكتب جميع / أعمالهم من شهادتهم فى الملائكة و غيرها، أعاد الكلام / ٧٢٠
فى إبطال شبهتهم فى أن عبادتهم لهم لو كانت ممنوعة لم يشأها الذى له عموم الرحمة لأن عموم رحمته يمنع على زعمهم مشيئة[8] ما هو محرم، فقال بعد أن نفى قوله "و اسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا" أن يكون لهم

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : يجتنب (٢) فى مد : شبهتهم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : قوله (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : سمع (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : فقوله (٧ - ٧) من مد، و فى الأصل و ظ : لاحضر بعضهم (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : مشيته .

دليل سمعي[1] على أحـــد من رسله عليـــهم الصلاة و السلام: ﴿ قل ان كان للرحمٰن ﴾ أي العام الرحمة ﴿ ولد قلى ﴾ على ما زعمتم، و المراد به الجنس لادعائهم في الملائكة، و غيرهم في غيرهم، و قراءة حمزة و الكسائي[2] بضم ثم سكون على أنه جمع على إرادة الكثرة . و لما كان المعنى: [3]فأنا ما[3] عبدت ذلك الولد و لا أعبده، و لو شاء الرحمن ما تركت عبادته، و لكـنه شاء تركي لها[4] و شاء فعلكم لها، فاحداهما قطعا مشيئة للباطل، و إلا لاجتمع النقيضان بأن يكون الشيء حقا باطلا في حال واحد من وجه واحد، و هو بديهي الاستحالة، فبطلت شبهتكم[5] بدليل قطعي ـ هكذا كان الأصل، و لكنه عدل عنه إلى ما يفيد معناه و زيادة أنه يعبد الله مخلصا و لا يعبد غيره، و أنه لا يستحق اسم العبادة إلا ما كان له خالصا، فقال: ﴿ فانا ﴾ أي في الرتبة ﴿ اول العٰبدين ه ﴾ للرحمن، العبادةَ التي هي العبادة و لا يستحق غيرها أن يسمى عبادة و هي الخالصة، أي فأنا لا أعبد غيره لا ولدا و لا غيره، و لم يشأ الرحمن لي أن أعبد الولد، أو يكون المعنى: أنا أول العابدين للرحمن على وجه الإخلاص، لم أشرك به شيئا أصلا في وقت من الأوقات مما سميتموه ولدا أو شريكا أو غيره، و لو شاء ما عبدته على وجه الإخلاص، و لاشك عندكم وعند غيركم أن من أخلص لأحد كان أولى من غيره برحمة، فلو أن الإخلاص

(١) من ظ و مد، و في الأصل: سمع (٢) راجع نثر المرجان ٦/٤٠٨ (٣-٣) من ظ و مد، و في الأصل: فما (٤) من مد، و في الأصل و ظ: له (٥) من مد، و في الأصل و ظ: شبهتهم.

له ممنوع ما شاء لى[١]، و لولا أن عبادة غيره ممنوعة لشاءها لى، و لو أن له ولدا لشاء لى عبادته، فان عموم رحمته لكافة خلقه [٢]لكونهم خلقه[٢] و خصوصها[٣] بى لكونى عبده خالصا له يمنع على زعمكم من أن يشقينى و أنا أخلص له، فبطلت شبهتكم بمثلها بل أقوى منها، و هذا مما علق بشىء[٤] هو بنقيضه أولى، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن " ان " نافية[٥] بمعنى: [ما ينبغى - ٦] أى ما كان له ولد، فانى أول من عبده رتبة و ما علمت له ولدا، و لو كان له[٧] ولد لعلمته فعبدته تقربا إليه بعبادة ولده.

و لما بطلت الشبهة على تقدير ببرهان، و على آخر بشبهة أقوى منها، و ظهر الأمر و اتضح الحق فى أنه سبحانه يشاء لشخص فعل شىء و لآخر عدم فعل ذلك الشىء و فعل ضده أو نقيضه، و من المعلوم قطعا أنه لا يكون فعل النقيضين[٨] و لا الضدين فى آن واحد حقا[٩] من وجه واحد، فعرف بذلك أن العبرة فى الحلال و الحرام بأمره و نهيه لا بإرادته، و أنه لولا ذلك / لما علم أنه فاعل بالاختيار يخص من يشاء[١٠] / ٧٢١
من عباده بما يشاء[١٠] بعد أن عمهم بما شاء، كان موضع التنزيه عما نسبوه

(١) زيد فى الأصل و ظ: به، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) فى مد: خصوصا (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و ظ: نفيه (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى (٩) من ظ و مد، الأصل: لى (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: النقيض. و فى الأصل: اخفا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: شاء.

إليه من الباطل، فقال منزها على وجه مظهر أنه لايصح أن ينسب إليه ولد أصلا: ﴿ سبحٰن رب ﴾ أى مبدع و مالك ﴿ السمٰوٰت ﴾ و لما كان المقام للتنزيه وجهة العلوية أجدر، لأنه أبعد[1] عن النقص[2] و النقيض[2]، لم يقتض الحال إعادة لفظ الرب بخلاف ما يأتى آخر الجاثية، فانه لإثبات الكمال و نظره[3] إلى جميع الأشياء على حد سواء فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى اللتين كل ما فيهما و من فيهما مقهور مربوب محتاج لايصح أن يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالإيجاد[4] و التربية[5].

و لما كانت خاصة الملك [6]أن يكون له ما لا[6] يصل إليه غيره بوجه أصلا، قال محققا للملك لجميع ما سواه و من سواه [و ـ[7]] ملكه له، و لم يعد العاطف لأن العرش من السماوات: ﴿ رب العرش ﴾ أى المختص به لكونه خاصة الملك الذى وسع كرسيه السماوات و الأرض ﴿ عما يصفون ﴾ من أنه[8] له ولد أو شريك.

و لما حصحص[9] الحق لمعت[10] فى الموجود كله أعلام الصدق بعد بطلان شبهتهم و بيان أغلوطتهم، عرف أنهم فاعلون بوضع الأشياء فى غير مواضعها[11] فعل الخائض اللاعب، فقال مسببا عن ذلك: ﴿ فذرهم ﴾

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: عن البعد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: نظيره (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بالاتحاد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التنزيه (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انه حالا (٧) زيد من مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: ان. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: حصص (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بلعت ـ كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: موضعها.

أى

أى اتركهم [على أسوأ أحوالهم -[1]] ﴿يخوضوا﴾ أى يفعلوا فعل الخائض فى الماء فى وضع رجله التى هى عماده[2] فيما لايعرفه، و قد لا يرضاه لكونه لاعلم له به ﴿ و يلعبوا ﴾ [أى يفعلوا فعل اللاعب فى انهماكه فى فعل ما ينقصه و لايزيده ﴿حتى يلٰقوا﴾ أى يفعلوا بتصريم أعمارهم فى فعل ما لاينفعهم فعل المجتهدين فى أن يلقوا ﴿ يومهم الذى يوعدون ﴾ بوعد لاخلف فيه فيظهر فيه وعيدهم[3] و يحق[4] تهديدهم .

و لما نزهه سبحانه عن الولد و دل على ذلك بأنه مالك كل شيء و ملكه، و كان ذلك غير ملازم الالوهية، دل على أنه مع ذلك هو الإله لاغيره فى الكونين بدليل بديهى يشترك فى علمه الناس كلهم، و قدم السماء[5] ليكون أصلا فى ذلك يتبع[6] لأن الأرض تبع لها فى غالب الأمور، فقال دالا على ان نسبة الوجود كله إليه على حد سواء لأنه منزه عن الاحتياج[7] إلى مكان أو زمان عاطفا على ما تقديره : تنزه عما نسبوه إليه الذى هو معنى "سبحٰن"[8]: ﴿ و هو الذى ﴾ [9]هو ﴿ فى السمآء اله ﴾ أى معبود لايشرك[10] به شيء ﴿ و فى الارض اله[11] ﴾ توجه الرغبات إليه فى جميع الأحوال، و يخلص له فى جميع أوقات[12]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عماره (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: وعدهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقق (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الماء (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تبع (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الاحتجاج (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: سبحانه.
(٩) زيد فى الأصل: سبحانه وتعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: لا يشترك (١١) ليس فى الأصول (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الأوقاف.

الاضطرار، فقد وقع الإجماع من جميع من فى السماء و الأرض على إلهيته[1] فثبت استحقاقه لهذه الرتبة و ثبت اختصاصه باستحقاقها فى الشدائد فباقى الأوقات[2] كذلك من غير فرق[3] لأنه لامشارك له فى مثل[4] هذا الاستحقاق، فعبادة غيره باطلة. قال فى القاموس: أله - أى بالفتح - [5]إلاهة و ألوهة[5] و ألوهية: عبد[6] عبادة، و منه: لفظ الجلالة - و أصله: إلاه بمعنى معبود[7] و كل ما اتخذ معبودا[8] فهو إله [9]عند متخذه[9]، و أله كفرح: تحير، فقد علم من هذا جواز تعلق الجار بالإله[10].

و لما كان الإله لايصلح للألوهية إلا إذا كان يضع الأشياء فى محالها بحيث لايتطرق إليها فساد، و لايضرها إفساد مفسد، و كان لا يكون كذلك إلا بالغ العلم [قال -[11]]: ﴿ و هو الحكيم ﴾ أى البليغ[12] الحكمة، و هى العلم الذى لأجله وجب الحكم من قوام من أمر المحكوم عليه فى عاجلته و آجلته، [13]و لما كانت[13] الحكمة العلم بما لأجله وجب الحكم قال تعالى: ﴿ العليم ﴾ أى البالغ فى علمه إلى حد لايدخل [فى -[11]] عقل العقلاء

(1) من ظ و مد، و فى الأصل: الهيئة (2) من ظ و مد، و فى الأصل: الافاق (3) من ظ و مد، و فى الأصل: فرت (4) من ظ و مد، و فى الأصل: به شيء ولا شك فى (5-5) من مد و القاموس، و فى الأصل: الإهيه (6) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس فحذفناها. (7) فى القاموس: مالوه (8) من مد، و فى الأصل و ظ: معبود. (9-9) من مد و القاموس، و فى الأصل: عنده اى عند من اتخذ (10) من ظ و مد، و فى الأصل: الله (11) زيد من مد (12) من ظ و مد، و فى الأصل: بالغ (13-13) من مد، و فى الأصل و ظ: كان.

أكثر من وصفه به على طريق المبالغة و لو وسعوا أفكارهم و أطالوا أنظارهم[1] لأنه ليس كمثله شيء[2] في ذاته[2] و لا صفة من صفاته ليقاس به، [و -[3]] كل من ادعى فيه أنه شريك له لايقدر من أشرك به أن يدعى له [4]ما وصف[4] به من الإجماع على ألوهيته[5] و من كمال علمه و حكمه، فثبت[6] قطعا ببطلان الشركة بوجه يفهمه كل أحد، فلا خلاص حينئذ إن[7] خالف كائنا من كان، و إذا قد صح أنه الإله وحده و أنه منزه عن شريك و ولد و كل شائبة نقص كان [بحيث -[3]] لا يخاف وعيده، فلا يخوض و لا يلعب عبيده، و من خاض [منهم -[3]] أو لعب فلا يلوم إلا نفسه، فان عمله محفوظ بعلمه فهو مجاز عليه بحكمته.

و لما نزه ذاته الأقدس و أثبت لنفسه استحقاق الإلهية بالإجماع من خلقه [8]بما ركزه[8] في فطرهم و هداهم[9] إليه بعقولهم، أتبع ذلك أدلة أخرى باثبات كل كمال بما تسعه العقول و بما لا تسعه مصرحا بالملك فقال: ﴿و تبٰرك﴾ أي ثبت[10] ثباتا[11] لايشبهه ثبات لأنه لا زوال مع التيمن و البركة و كل كمال، فلا تشبيه[12] له حتى يدعى أنه ولد له

(١) من مد، و في الأصل و ظ: انتظارهم (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل: و اداته (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و في الأصل و ظ: وصفا (٥) من مد، و في الأصل و ظ: الهيبة (٦) من مد، و في الأصل و ظ: ويثبت. (٧) في مد: بأن (٨-٨) من ظ و مد، و في الأصل: كما ذكره (٩) من ظ و مد، و في الأصل: هواهم (١٠) من مد، و في الأصل و ظ: اثبت. (١١) زيد في الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها. (١٢) من مد، و في الأصل و ظ: شبهة.

أو شريك، ثم وصفه بما يبين تباركه و اختصاصه بالإلهية فقال: ﴿ الذى له ملك السمٰوٰت ﴾ أى كلها[1] ﴿ و الارض ﴾ كذلك ﴿ و ما بينهما ج ﴾ و بين كل اثنين منها[2]، و الدليل على هذا الإجماعُ القائم على توحيده عند الاضطرار .

و لما ثبت اختصاصه بالملك [و كان الملك لا يكون إلا عالما بملكه وكان ربما ادعى مدع و تكذب معاند فى الملك - [4]] أو العلم، قطع الأطماع بقوله: ﴿ و عنده ﴾ أى وحده ﴿ علم الساعة ج ﴾ سائقا له مساق ما هو معلوم الكون، لا مجال للخلاف فيه [إشاره - [3]] إلى ما عليها من الأدلة[4] القطعية المركوزة فى الفطر[5] الأولى فكيف بما يؤدى إليه الفكر من الذكر المنبه عليه السمع، و لأن من ثبت اختصاصه بالملك وجب قبول أخباره لذاته، و خوفا من سطواته، و رجاء فى بركاته ﴿ و اليه ﴾ أى وحده لا إلى غيره بعد قيام الساعة ﴿ ترجعون ۝ ﴾ بأيسر أمر تحقيقا لملكه و قطعا للنزاع فى وحدانيته، و قراءة الجماعة[6] و هم من عدا ابن كثير و حمزة و الكسائى و ورش عن يعقوب بالخطاب أشد تهديدا من قراءة الباقين بالغيب، و أدل على تناهى الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه ارتياب .

---

(١) زيد فى الأصل: جميعا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: منهما (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: الالة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الفطرة (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٦١ .

و لما

و لما أرشد السياق قطعا إلى التقدير : فلا شريك له فى شىء من ذلك و لا ولده و لايقدر أحد منهم على التخلف عن الرجوع إليه كما أنه لايقدر أحد[1] على مدافعـــة قضائه و قدره ، عطف عليه قوله : ﴿ و لا يملك ﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت ما[2] ﴿ الذين يدعون ﴾ أى يجعلونهم فى موضع الدعاء بعبادتهم لهم ، و بين سفول رتبتهم بقوله تعالى : ﴿ من دونه ﴾ من أدنى رتبة من رتبته[3] من الأصنام و الملائكة و البشر و غيرهم ﴿ الشفاعة ﴾ أى فلا يكون منهم شفيع كما زعموا أنهم شفعاؤهم ﴿ الا من شهد ﴾ أى منهم ﴿ بالحق ﴾ أى التوحيد الذى يطابقه[4] الواقع إذا انكشف [أتم انكشاف -[5]] و كذا ما يتبعه فانه يكون أهلا لأن يشفع كالملائكة و المسيح عليهم الصلاة و السلام ، و المعنى أن أصنامهم التى ادعوا أنها تشفع[5] [لهم لاتشفع -[5]] غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى .

و لما كان ذلك مركوزا حتى[6] فى فطر الكفار فلا يفزعون فى وقت الشدائد إلا إلى الله ، و لكنهم لايلبثون أن يعملوا من الإشراك بما[7] يخالف ذلك ، فكأنه لا علم لهم قال : ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أن

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من الاوقات (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : رتبة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايطابقه .
(٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جرم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : مما .

من شهد ﴿ يعلمون ﴾ أى على بصيرة مما شهدوا به، فلذلك[1] لايعملون[2] بخلاف ما شهدوا [إلا -[3]] جهلا منهم بتحقيق معنى التوحيد، فلذلك يظنون أنهم لم يخرجوا عنه و إن أشركوا. أو يكون المعنى: و هم من أهل العلم، و الأصنام ليسوا كذلك، وكأنه أفرد أولا إشارة إلى أن التوحيد فرض عين على كل أحد بخصوصه و إن خالفه كل غير، و جمع ثانيا إيذانا بالأمر بالمعروف ليجتمع الكل على العلم و التوحيد هو الأساس الذى لا تصح عبادة إلا به، و تحقيقه هو العلم الذى لاعلم يعدله، [قال الرازى فى اللوامع: و جميع الفرق إنما ضلوا حيث لم يعرفوا -[3]] معنى الواحد على الوجه الذى ينبغى إذ الواحد قد يكون مبدأ العدد، و قد يكون مخالطا للعدد، و قد يكون ملازما للعدد، و الله تعالى منزه عن هذه الوحدات - انتهى. ففى الآية تبكيت لهم فى أنهم يوحدون فى أوقات، فاذا أنجاهم الذى وحدوه[4] [5]جعلوا شكرهم[5] له فى الرخاء إشراكهم به، و منع لهم من ادعاء هذه الرتبة، و هى الشهادة بالحق لأنهم[6] انسلخوا باشراكهم عن العلم، و أن[7] الملائكة لاتشفع لهم لأن ذلك يؤدى إلى أن تكون قد [8]عملت بخلاف[8] ما تعلم، و ذلك ينتج الانسلاخ

(١) من مد، و فى الأصل: فلذلك، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « شهدوا به » ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: يعلمون (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: وحدوه (٥-٥) من مد، و فى الأصل و ظ: شركهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الى (٨-٨) من مد، و فى الأصل و ظ: علمت.

من العلم المؤهل للشفاعة، و قال ابن الجوزي: [و - [١]] في الآية دليل على أن شرط جميع الشهادات أن يكون الشاهد عالما بما يشهد به.

و لما كان التقدير [لتقرير - [٢]] وجود إلهيته في الأرض بالاجتماع[٣]: فلئن سألتهم من ينجيهم في وقت كروبهم ليقولان: الله، [٤]ليس لمن ندعوه[٤] من دونه [هناك فعل - [١]]، فقال عطفا عليه: ﴿و لئن سالتهم﴾ أي الكفار[٥] ﴿من خلقهم﴾ أي العابدين و المعبودين معا، [٦]أجابوا بما يدل على عمى القلب الحقيقي المجبول عليه و المطبوع بطابع الحكمة الإلهية عليه،
و لم يصدقوا في جواب مثله بقولهم / «إذا سالتهم»[٦]: ﴿ليقولن الله﴾ / ٧٢٤
الذي له جميع صفات الكمال هو الذي خلق[٧] الكل ليس لمن يدعوه منه شيء، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿فأنى﴾ أي كيف و من أي جهة بعد أن أثبتوا له الخلق و الأمر ﴿يؤفكون﴾ أي يقلبون عن وجوه الأمور إلى أقفائها من قالب ما كائنا من كان، فيدعون أن له شريكا تارة بالولدية، و تارة بغيرها، مع ما ركز في فطرهم[٨] مما ثبت به أنه[٩] لاشريك له لأن له الخلق و الأمر كله[١٠].

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل و ظ: بالاجماع (٤-٤) من مد، و في الأصل و ظ: لن يدعو (٥) زيد في الأصل: بالمشركين من اي وجه كان، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد في الاصل: الكمال و هو الذي خلق، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و في الأصل و ظ: فطر (٩) من مد، و في الأصل و ظ: لأنه (١٠) سقط من ظ ومد.

و لما أبطل سبحانه شبهتهم [و - [1]] وهى غاية التوهية أمرهم[2] فى شركهم و ادعائهم الولد و غير ذلك مما تضمنته أقوالهم الفاسدة المنسوبة إليهم فى هذه السورة ، و أقام حجج الحق ، و نصب براهين الصدق ، و أثبت ما ينفعهم ، و حذرهم ما يضرهم ، حتى ختم ذلك بقوله [مقسما - [3]] مع جلالة[4] قدره و عظم أمره " لقد جئنكم بالحق " [5] ثم [حصر - [3]] أمرهم فى رد ذلك إن ردوه إلى قسمين فى حالين : حال مجاهرة و حال مما كرة ، و أخبر أنه لانجاة لهم على حالة منهما ، و[5] أخبر أن[6] رسله تعالى يكتبون جميع أمورهم ، ذلك [مع غناه عن ذلك لعلمه - [3]] بما يكتبونه من ذلك و غيره مما لايطلعون عليه ، فكان ذلك لخرا عظيما ملاحما أشد الملاحمة لما قدمه[7] من شبهتهم فى ادعاء الولد فأكد إبطالها و حقق زوالها ، و ختم بالتعجيب[8] من حالهم فى تركهم وجوه الأمور و اتباعهم أقفاءها ، و كان من جملة ذلك عملهم عمل من يظن أن الله سبحانه لايسمع قولهم الموجب لأخذهم و قول رسوله [الموجب - [3]] لنصره ، عطف على ما مضى من إنكارهم عليهم عدم سماعه لقولهم ، و لما كان اشتدادهم فى تكذيبهم و مباعدتهم و عنادهم لايزداد بمرور الزمان

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : امر (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) فى مد : جلال (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : قدمته (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعجب .

إلا

إلا قوة أوقع فى نفس الرسول[١] صلى الله عليه و سلم أسفا و رقة و شفقة عليهم و عطفا، و صار يشكو أمرهم إلى ربه شكوى المضطر سرا و علنا إرادة التيسير[٢] فى أمرهم و التهوين لشأنهم، فاختير للتعبير[٣] عن هذا المعنى مصدر[٤] " قال " المشترك لفظه مع لفظ الماضى المبنى للمجهول إشارة إلى أن شكواه بذلك كأنها صارت أمرا ضروريا له لا اختيار له فى قوله فكأنه[٥] صار قولا من غير قائل أو من غير قصد، لأنه صار حالا من الأحوال، و وصل به الضمير من غير تقدم ذكر، إشارة إلى [أن -[٦]] ضميره قد امتلأ[٥] بتلك الشفقة عليهم و الرحمة لهم، فقال تعالى عطفا على سرهم المقدر بعد " بلى " فى قوله تعالى " انا لانسمع سرهم و نجوٰهم [بلى -[٧]] " أو يكون معطوفا على [محل -[٦]] الساعة [أى -[٧]] " و يعلم قيله " قاله الزجاج، و عدل فى هذا الوجه - و هو قراءة الجماعة - عن[٨] الجر عطفا على لفظها [تعظيما -[٦]] لما أوصله إلى هذا القيل[٩] من أذاهم، و الذى [دل -[٦]] على تقدير هذا الفعل قراءة عاصم[١٠] له [و حمزة -[١١]] بالجر فانه[١٢] ظاهر فى تعلقه بذلك لعطفه على لفظ

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: رسول الله (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: التيسر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: للتخيير (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لفظا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٦) زيد من مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: بين (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: السبيل (١٠) راجع نثر المرجان ٦/٤٦٣ (١١) زيد من مد و نثر المرجان. (١٢) من ظ و مد. و فى لأصل: و انه.

" الساعة "، و قرئ[١] شاذا بالرفع ، و وجهه أن الواو للحال ، أى كيف يصرفون عن اتباع رسولنا الآمر لهم بتوحيدنا فى العبادة كما أنا [٢]توحدنا / بالخلق[٢] و الحال أن قيله كذا فى شكايتهم ، أيظنون أنا لا ننصره و قد أرسلناه : ﴿ و قيله ﴾ الذى صار فى ملازمته و عدم انفكاكه حالا من الأحوال ، الدال على وجه قيله و انكسار نفسه بما دلت عليه [كسرة - [٣]] المصدر و ياؤه المجانسة لها ، و التعبير بقوله : ﴿ يٰرب ﴾ دال على ذلك بما [٤]تفيده « يا » الدالة[٤] على بعد ، أو تقديره : و الرب الدال على الإحسان و العطف و الشفقة و التدبير و السيادة و الاختصاص و الولاية ، و ذلك على غير العادة فى دعاء المقربين ، فانها جارية فى القرآن باسقاط أداة النداء .

/ ٧٢٥

[و لما كان الإرسال إليهم - و المرسل قادر - مقتضيا لإيمانهم ، أكد ما ظهر له من حالهم بقوله زيادة - [٥]] فى التحسر و إشارة إلى أن تأخير أمرهم يدل على أن إيمانهم مطموع فيه : ﴿ ان هٰؤلاء ﴾ لم يضفهم إلى نفسه[٦] بأن يقول : قومى ، و نحو ذلك من العبارات و لا[٧] سماهم باسم قبيلتهم لما ساءه[٨] من حالهم ، و أتى بهاء المنبهة قبل اسم على غير عادة الأصل إشارة إلى أنه استشعر من نفسه بعدا[٩] استصغارا لها و احتقارا[١٠]

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : قرا (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : توعدنا بالحق (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : سده بالدلالة (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٨) من ظ و مد و فى الأصل : ساله .
(٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : احتقار .

﴿ قوم ﴾ أى أقوياء على الباطل ﴿ لا يؤمنون ٨٨ ﴾ أى لا يتجدد منهم هذا الفعل.

و لما كان هذا قولا دالا على غاية ما يكون من بلوغ الجهد، تسبب عنه ما يسره بإيمانهم و بلوغهم الرتب العالية التى هى نتيجة ما كان مترجى[1] لهم أول السورة، و ذلك كله ببركته صلى الله عليه و سلم فى سياق ظاهره التهديد و باطنه - بالنسبة إلى علمه[2] - البشارة[3] بالتشديد فقال: ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أى اعف عن أعرض منهم صفحا فلا تلتفت إليهم بغير التبليغ ﴿ و قل ﴾ أى لهم: ﴿ سلٰم ﴾ أى شأنى الآن[4] متاركتكم بسلامتكم منى و سلامتى منكم ﴿ فسوف يعلمون ٨٩ ﴾ بوعد لا خلاف / فيه، فهذا ظاهره[5] تهديد كبير، و قراءة المدنيين و ابن عامر بالخطاب[6] أشد تهديدا، و باطنه [7]من التعبير[7] بالصفح عنهم و[8]السلام بشارة[8] بأنهم يصيرون علماء فيفوقون الأمم فى العلم بعد أن يفوقوهم[9] فى العقل - بما أفهمه أول السورة - فيعلون الأمم فى المشى على مناهيج العقل، فلله دره من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مرتجى (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: علة (٣) زيد فى الأصل: التامة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لأن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ظاهر.
(٦) راجع نثر المرجان ٦/٤٦٤ (٧-٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بالتعبير.
(٨-٨) من مد، و فى الأصل و ظ: البشارة (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: يروقوهم.

احر عاتق الأول ، و مقطع رد إلى المطلع[1] [2]تنزل ، يا ناظم اللآلئ[2] ! أين تذهب عن هـــذا البناء العالى ، و تغفل[3] عن [4]هذا الجوهر[4] الرخص الغالى ، و تضل عن هذا الضياء اللامع المتلألئ ، ثم أعلاه فأنزله ، و أغلاه بدر المعانى[5] و فضله[6] .

* * * * *

(١) من ظ ، و فى الاصل و مد : المطلق (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تنزل بالاصم اللاتى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقل - كذا (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الجواهر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعالى (٦) زيد فى الأصل : على ما سواه من الكتب المنزلة و الله الهادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء السابع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة الخامس و العشرين من جمادى الثانية سنة ١٤٠١هـ = الأول من مايو سنة ١٩٨١ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي السيد الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء الثامن عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة "الدخان".

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين
المفتي محمد عظيم الدين
رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية